

صوفي ريختر-ديفرو | Sophie Richter-Devroe *

النوع الاجتماعي والطبقة والعرق: رأسمالية الاستيطان الإسرائيلي ومقاومة النساء البدويات الفلسطينيات في النقب

Gender, Class and Race: Israeli Settler-Capitalism and Palestinian Bedouin Women's Resistance in the Naqab

ملخص: تشغل الدراسة باستظهار طبيعة تأثير الاستعمار الاستيطاني الإسرائيلي، أو الرأسمالية الاستيطانية كما تُفهمها الدراسة، في مجموعة نساء بدويات فلسطينيات ينتمين إلى جيل النكبة، وكيف تعاملن معه وقاومنه، ودليلي إلى ذلك العمل الميداني الإثنوغرافي الذي أجريته في النقب في المدة 2014–2018. ويفضل بقاء هذه المجموعة من النساء على هامش المشروع الإسرائيلي الرأسمالي الاستيطاني، احتفظن بفضاءاتهن الاجتماعية والثقافية والسياسية البديلة الخاصة بهن، فكنّ قادرات على مواجهة منطقه الإقصائي. ثمة تصورات ضيقة الأفق عن الاستعمار الاستيطاني، تتجاهل العمل المأجور بوصفه شكلاً من أشكال المحو الإيجابي، لا يمكنها أن تحيط بما تفعله اليوم الرأسمالية الاستيطانية الإسرائيلية في فلسطين بشأن مسائل متقطعة كالنوع الاجتماعي والطبقة والعرق.

كلمات مفتاحية: الرأسمالية الاستيطانية، النقب، فلسطين، الجندر، التقاطعية.

Abstract: Drawing on ethnographic fieldwork in the Naqab from 2014–2016, this article traces how Palestinian Bedouin women from the Nakba generation are impacted by, cope with, but also resist Israeli settler-colonialism, or as conceptualized here, settler-capitalism. Older women maintain alternative socio-cultural and political spaces by remaining at the margins of the Israeli settler-capitalist project, and, in doing so, are able to counter its eliminatory logics. A narrow conceptualization of settler-colonialism, which ignores wage labor as a form of positive elimination, cannot therefore capture the gendered, classed and racialized intersections through which the Israeli settler-capitalism functions in Palestine today.

Keywords: Settler Capitalism, Naqab, Palestine, Gender, Intersectionality.

* أستاذة مشاركة في برامج ماجستير الآداب في دراسات المرأة في المجتمع والتنمية، بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة حمد بن خليفة، قطر.

Associate Professor in the Master of Arts in Women, Society and Development at College of Humanities and Social Sciences, Hamad Bin Khalifa University, Qatar.

Email: srichterdevroe@hbku.edu.qa

مقدمة⁽¹⁾

في أيلول/ سبتمبر 2014، صرَّح وزير الزراعة الإسرائيلي آنذاك يائير شامير (2013-2015): "علينا أن نأخذ البدو كلَّهم ونخرجهم من الصحراء قليلاً ونقرَّبهم من حياة اجتماعية من حيث التشريع ومتوسط العمر المتوقع والتعليم وسبل العيش. وربما يمكننا حتى معالجة ظاهرة تعدد الزوجات لتقليل معدل الولادات ورفع مستوى المعيشة"⁽²⁾.

ليست جديدةً تصريحات مثل هذه من طرف صانعي السياسة الإسرائيليَّين. فقبل نحو خمسين عاماً، اقترح موسيه ديان ما يلي: "يجب أن نحوَّل البدو إلى بروليتاري حضري يعمل في الصناعة والخدمات والبناء والزراعة [...]. وستكون هذه الخطوة في الواقع جذرية، ما يعني أنَّ البدوي لن يعيش على أرضه مع قطيعه، بل سوف يصبح شخصاً حضريًّا يَؤوِّب إلى منزله في فترة ما بعد الظهر ويرتدي عليه. وسوف يتَّعَوَّد أبناؤه على أب يرتدي سراويل ولا يحمل الشريبة [السكنين البدوي التقليدي] ولا يبحث عن الحشرات في الأماكن العامة. وينذهب الأطفال إلى المدرسة ممشطين شعورهم على نحو لائق. وستكون هذه ثورة، ولكن يمكن توطيدها خلال جيلين. وسوف تختفي ظاهرة البدو [...]. من دون إكراه، ولكن بتوجيه حكومي"⁽³⁾.

إنَّ كلاً "الاقتراحين" يتحدث عن السكان المُحلَّلين في جنوب فلسطين التاريخية، وهي المنطقة المعروفة اليوم باسم النقب (أو Negev بالعبرية)⁽⁴⁾. ويُتَكَوَّن مجتمع النقب البدوي الأصليَّالي اليوم من أكثر من 280000 فلسطيني عربي يحملون الجنسية الإسرائيليَّة⁽⁵⁾، تقيم غالبيتهم في شمال النقب. قُتِّلت القوات الإسرائيليَّة وطردت خلال نكبة فلسطين عام 1948 معظم بدو النقب في عملية تطهير عرقي⁽⁶⁾. ومن تَبَقَّى منهم، قرابة 11000⁽⁷⁾ في ما أصبح يُعرَف بإسرائيل في أراضيهم المصادر، وُضعوا

(1) تنشر عمران النسخة العربية من هذا المقال في هذا العدد، في حين سُتُّنشر النسخة الإنكليزية لاحقاً في: Mikko Joronen & Mark Griffiths (eds.), *Encounters with Colonial Power: Emergent Spaces of Violence and Struggle in Palestine* (Lincoln: University of Nebraska Press, [forthcoming]).

(2) Shirly Seidler, "Minister: Israel Looking at Ways to Lower Bedouin Birthrate," *Haaretz*, 29/9/2014, accessed on 31/12/2021, at: <https://bit.ly/3qsO7Vx>

(3) Nur Masalha (ed.), *Catastrophe Remembered: Palestine, Israel and the Internal Refugees: Essays in Memory of Edward W. Said* (London: Zed Books, 2005), p. 125.

(4) أستعمل مصطلح النقب في هذه الدراسة لأنَّها مستعملة من أبناء مجتمعها. ولعرض الاطلاع على مناقشة تفصيلية للمصطلح، ينظر:

Richard Ratcliffe, "Introduction," in: Mansour Nasasra et al., (eds.), *The Naqab Bedouin and Colonialism: New Perspectives* (London: Routledge, 2014).

(5) Mansour Nasasra & Emily Bellis, "The Role of Bedouin Youth and Women in Resistance to the Israeli Prawer Plans in the Naqab," *Middle East Critique*, vol. 29, no. 4 (2020), p. 398.

(6) Ilan Pappe, *The Ethnic Cleansing of Palestine* (Oxford: One World, 2006); Ilan Pappe, "The Forgotten Victims of the Palestine Ethnic Cleansing," in: Nasasra et al., (eds.).

(7) إسماعيل أبو سعد، عرب النقب: الواقع الراهن وتحديات المستقبل (بشر السبع: مركز النقب للتطوير الإقليمي، 2010)، ص 117.

تحت أحکام القانون العسكري، وهجّروا قسراً إلى منطقة مسیّجة معزولة، لا يغادرونها إلا بتصاريح⁽⁸⁾. وتبنت الدولة، منذ أواخر ستينيات القرن العشرين، استراتيجية جديدة يبيّنها اقتراح دایان المقبس سابقاً، فتحت غطاء ما يسمّى "التحديث" أو "التحضر"، صادرت الدولة مره أخرى أراضي البدو ورحلت السكان المحلاّتين إلى سبع بلدات حضريّة مزدحمة وفقيرة خططتها الدولة⁽⁹⁾. وتعيش اليوم غالبية البدو الفلسطينيين في هذه الجيوب الحضريّة، وقراة 180000 في قرى تصنّفها إسرائيل قرى غير معترف بها أو معترف بها جزئياً فقط، لذلك لا تدعم الدولة بناها التحتية⁽¹⁰⁾.

في خطاب الدولة الإسرائيلي وسياستها اللذين يفصح عنهم الاقتباسان السابقان، يدعم منطق التحديث المركزي، الذي يدمج المخاوف الديموغرافية في سياسات الاستيلاء على الأراضي والمراقبة، الحكم والسيطرة على الفلسطينيين داخل إسرائيل⁽¹¹⁾. وحالة بدو النقب ليست استثناء: فهنا تقدّم ما يسمى بـ"سياسات التحديث"، التي تتصادر أراضي المحلاّتين وتنقل السكان البدو الفلسطينيين قسراً إلى بلدات معينة تحظّطها الدولة بوصفها شكلاً من أشكال "استيعاب" البدو أو "دمجهم" في بنى دولة الأمة الحديثة والسوق الرأسمالية. ويندّيّة تحويل هؤلاء السكان إلى مواطنين حديثين، تجرّد سياسات التحديث البدو من وضعهم بوصفهم مواطنين محلاّتين يتّمون إلى هذه الأرض. وعملية التحديث هذه سياسية حيّوية Biopolitical؛ فبذرّيّة تحسين الحياة تؤمّن هذه السياسة الحيّوية وتوسّع سلطة الدولة وسيطرتها

(8) Emanuel Marx, *The Bedouin of the Negev* (Manchester: Manchester University Press, 1967); Ghazi Falah, "Israeli State Policy toward Bedouin Sedentarisation in the Negev," *Journal of Palestine Studies*, vol. 18, no. 2 (1989), pp. 71–91; Mansour Nasasra, "The Politics of Non-cooperation and Lobbying: The Naqab Bedouin and Israeli Military Rule, 1948–67," in: Nasasra et al., (eds.).

(9) Ghazi Falah, "How Israel Controls the Bedouin in Israel," *Journal of Palestine Studies*, vol. 14, no. 2 (Winter 1985), pp. 35–51; Falah, "Israeli State Policy toward Bedouin Sedentarisation in the Negev."

(10) هناك سبع وثلاثون قرية في النقب غير معترف بها وإحدى عشرة قرية معترف بها جزئياً. ولا تدعم الحكومة الإسرائيليّة بنيتها التحتية. ينظر:

Alexandre Kedar, Ahmad Amara & Oren Yiftachel, *Emptied Lands: A Legal Geography of Bedouin Rights in the Negev* (Stanford: Stanford University Press, 2018), p. 11;

وتدافع كتابات كثيرة عن عمليات التهجير المستمرة وهدم المنازل في القرى غير المعترف بها، ينظر من بينها:

"As Requested by the Prime Minister's Office: The National Council for Planning and Building, in an Exceptional Move, Cancels its Decision Recognize Two Arab Bedouin Villages in the Naqab (Negev)," The Legal Center for Arab Minority Rights in Israel (Adalah), 22/11/2010, accessed on 2/1/2022, at: <https://bit.ly/3JwdEGe>; "Nomads against their will: The Attempted Expulsion of the Arab Bedouin in the Naqab: The Example of Atir-Umm al-Hieran," The Legal Center for Arab Minority Rights in Israel (Adalah), 16/2/2012, accessed on 2/1/2022, at: <https://bit.ly/3EpMmgU>

: ينظر (11)

Rhoda Ann Kanaaneh, *Birthing the Nation: Strategies of Palestinian Women in Israel* (Berkeley: University of California Press, 2002); Ahmad H. Sa'di, "Ominous Designs: Israel's Strategies and Tactics of Controlling the Palestinians during the First Two Decades," in: Elia Zureik, David Lyon & Yasmeen Abu-Laban (eds.), *Surveillance and Control in Israel/Palestine* (London: Routledge, 2011), pp. 83–98; Ahmad H. Sa'di, *Thorough Surveillance: The Genesis of Israeli Policies of Population Management, Surveillance and Political Control towards the Palestinian Minority* (Manchester: Manchester University Press, 2014).

على جميع مجالات الحياة من خلال تنظيم وضبط أجساد الأفراد والسكان كلّهم⁽¹²⁾. ونظرًا إلى مخاوف إسرائيل من المسألة الديموغرافية، تكون أجساد النساء المحلاّنات هدفًا، فمثلاً تصور عملية التحكم في معدلات الولادات لدى النساء خطوةً تقدميةً لرفع مستويات المعيشة بحسب تعبير يائير شامير. ويعتمد هذا الخطاب على ثنائي (مشيد): "التقليد" و"الحداثة"، ويحشد مفاهيم مثل تعدد الزوجات والقبيلة و/ أو الدين لتصوير البدو على أنّهم "متخلّقون" و"تقليديون" ويحتاجون إلى "الارتقاء" إلى شرط الحداثة. والأهم من ذلك أنّ الدولة (وليس المجتمع أو النساء أنفسهنّ) هي التي تتولى دور "تحديث" النساء وأجسادهنّ (ضمن الأطر والقيود المحددة لأجندتها الخاصة). وبذلك تصبح أجساد النساء رمزاً إلى تقدم الأمة وحداثتها⁽¹³⁾.

يشمل "التحديث" أيضًا التوسيع الرأسمالي، و"دمج" العمالة المحلاّنية في بني السوق المربيحة، وإنشاء مجتمع طبقي "حديث" يشغل السكان المحلاّنون مراتبه الدنيا وأكثراً استغلالاً. فلقد جرى تجريد البدو من نمط حياتهم التقليدية القائمة على الاكتفاء الذاتي من الرعي شبه المترحل وتحويلهم إلى عمال لا يملكون أرضاً، ويتقاضون أجوراً بخسفة في مجال الصناعة والزراعة الإسرائيليّين - أي تحويلهم إلى "بروليتاريا حضريّة" بحسب عبارة موشيه دایان (1915-1981). وينبغي النظر إلى مشروع الدولة المعلن لدمج الفلسطينيين في سوق العمل الإسرائيليّ بوصفه جزءاً لا يتجزأ من استراتيجيات الرأسمالية الاستيطانية العرقية المتمثّلة في نزع الملكية والاستغلال. وسياسات الاندماج الرأسمالية هي أيضًا سياسة مجendered، ولها تأثير معين في النساء الفلسطينيات المحلاّنات وأجسادهنّ. تستهدف التحولات الرأسمالية وتستغل، تحديداً كما تدعى سياسات التحديث الحيوي، النهوض بالمرأة، وإنجذبها وإنجابها⁽¹⁴⁾، ولكنّها تقنّعها بقناع "إدماج" المرأة و"تمكّنها" اقتصاديّاً.

في السياق الاستعماري الاستيطاني، تؤدي استراتيجيات التحديث الرأسمالية الطبقية المعرقة Racialized والمجendered ذات الطابع السياسي الحيوي وظيفةً محددة؛ فهي لا تقوم بضبط أجساد المحلاّنين واستغلالها

(12) Michel Foucault, "The Birth of Biopolitics," in: Michel Foucault, *Ethics, Subjectivity, and Truth*, Paul Rabinow (ed.) (New York: New Press, 1997), pp. 73-79;

ينظر أيضًا: Sa'di, "Ominous Designs".

(13) حريٌّ بنا ملاحظة أنه في حين يصف خطاب الدولة في إسرائيل ظاهرة تعدد الزوجات بالمارسة البدوية الثقافية "التقليدية" و"المتخلّفة"، فإنّ سياساتها الفعلية متناقضة وربما تشجع هذه الظاهرة بدلاً من أن تحاربها. ينظر مثلاً:

Rawia Abu Rabia, "Redefining Polygamy among the Palestinian Bedouins in Israel: Colonialism, Patriarchy, and Resistance," *Journal of Gender, Social Policy & the Law*, vol. 19, no. 2 (2011); Sonia Bolous, "National Interests versus Women's Rights: The Case of Polygamy among the Bedouin Community in Israel," *Women & Criminal Justice*, vol. 31, no. 1 (2021), pp. 53-76.

وهذا التناقض الواضح يمثل جوهر مشروع الدولة التحديثي بوصفه استجابة للمخاوف الديموغرافية في الوقت الذي تُنعت فيه البدو بالمتخلّفين.

(14) Silvia Federici, "Wages against Housework," in: Ellen Malos (ed.), *The Politics of Housework* (Gloucestershire: New Clarion Press, 1995); Silvia Federici, *Caliban and the Witch: Women, the Body and Primitive Accumulation* (Brooklyn: Atonomedia, 2014).

فحسب، وإنما "تمحومهم" أيضًا⁽¹⁵⁾. فجميع مشاريع بناء الدولة القومية تزعم أنها تعمل على "تحديث المرأة"⁽¹⁶⁾، ولكن "تحديث النساء" وتحضيرهن، في حالة الفلسطينيين في إسرائيل، ليس استراتيجية لخلق مواطنين مطيعين فحسب، بل وسيلة للمضي بالمشروع الاستعماري الاستيطاني قدماً أيضًا⁽¹⁷⁾. وعلى الرغم من أن الخطاب الرسمي للدولة صور سياساتها لتحديث المرأة من خلال تحديد التسلل وتحضيرها على أنها "تنمية" و"تحديث" يهدفان إلى "تحرير" البدو من أعرافهم "القبلية" "المتخلفة"، فإنها كانت في حقيقتها سياسات ترمي إلى محو إنتاج المحلاّنين وتكاثرهم اجتماعياً وبيولوجياً⁽¹⁸⁾. وعلى هذا النحو يكون توسيع بنى السوق الرأسمالية، التي تسعى وراء الموارد والعملة القابلة للاستغلال، من صميم أي دولة قومية ومشروع استعماري حديث. بيد أن ما يميز حالة إسرائيل هو أن التحولات الرأسمالية الخاصة المجندة والمعرقنة تحدث من خلال نزع ملكية المحلاّنين واستغلال قوة عملهم⁽¹⁹⁾، ومن ثم ت العمل على محو وجودهم السياسي والاقتصادي والاجتماعي من على أرضهم.

ذهب باتريك وولف إلى أن المحو Elimination الذي يوظفه الاستعمار الاستيطاني قد يكون سليماً أو إيجابياً⁽²⁰⁾. وفي دراستي هذه، أستعين بدعستات ثلاث، هي النوع الاجتماعي والطبقة والعرق،

(15) Patrick Wolfe, *Settler Colonialism and the Transformation of Anthropology: The Politics and Poetics of an Ethnographic Event* (London/ New York: Cassell, 1999); Patrick Wolfe, "Settler Colonialism and the Elimination of the Native," *Journal of Genocide Research*, vol. 8, no. 4 (2006), pp. 387–404;

لا يتيح المجال هنا مراجعة الكتب المتكاثرة عن الاستعمار الاستيطاني في فلسطين. ولغرض الاطلاع على طبعات كتب خاصة أو أبحاث، ينظر:

Omar Jabary Salamanca et al., "Past is Present: Settler Colonialism in Palestine," *Settler Colonial Studies*, vol. 2, no. 1 (2012), pp. 1–8; Marcelo Svirsky (ed.), "Collaborative Struggles in Australia and Israel–Palestine," *Settler Colonial Studies*, vol. 4, no. 4 (2014); Lorenzo Veracini (ed.), "Special Issue: Settler Colonialism and Israel–Palestine," *Settler Colonial Studies*, vol. 5, no. 3 (2015); David Lloyd & Patrick Wolfe, "Settler Colonial Logics and the Neoliberal Regime," *Settler Colonial Studies*, vol. 6, no. 2 "Settler Colonial Logics and the Neoliberal Regime" (2016), pp. 109–118; Francesco Amoroso, Ilan Pappé & Sophie Richter–Devroe (eds.), "Special Issue on Settler Colonialism in Palestine," *International Journal of Postcolonial Studies*, vol. 21, no. 4 (2019).

(16) ينظر على سبيل المثال:

Nira Yuval–Davis, *Gender and Nation* (London: Sage, 1997); Lila Abu–Lughod (ed.), *Remaking Women: Feminism and Modernity in the Middle East* (Princeton: Princeton University Press, 1998).

(17) ينظر: Kanaaneh

(18) ينظر الأعمال الآتية على الرغم من أنها لا تبني مسألة النوع الاجتماعي:

Oren Yiftachel, "Epilogue: Studying Naqab/ Negev Bedouins: Toward a Colonial Paradigm?" *HAGAR Studies in Culture, Polity and Identities*, vol. 8, no. 2 (2008), pp. 83–108; Nasasra, et al.; Kedar, Amara & Yiftachel.

وهي أعمال تعقب المشروع الإسرائيلي الاستعماري الاستيطاني من خلال مصادرة الأرضي في النقب ونزع الملكية والتهجير.

(19) ينظر:

Sai Englert, "Settlers, Workers, and the Logic of Accumulation by Dispossession," *Antipode*, vol. 52, no. 6 (2020), pp. 1647–1666.

(20) Wolfe, "Settler Colonialism and the Elimination of the Native," p. 388;

ينظر أيضًا:

Lorenzo Veracini, *Settler Colonialism: A Theoretical Overview* (London: Palgrave Macmillan, 2010); Sara Salazar Hughes, "Unbounded Territoriality: Territorial Control, Settler Colonialism, and Israel/Palestine," *Settler Colonial Studies*, vol. 10, no. 2 (2020), pp. 216–233.

رسم الطرق التي تتبعها إسرائيل لمحو المحتلين في المستوطنات الاستعمارية، التي لا تقتصر على القتل والطرد الجماعي فحسب، بل بـ"المحو الإيجابي" أيضاً عبر التحكم في النمو الديموغرافي والتحضر وتحويلهم إلى بروليتاريين *Proletarianization*، وهذه جمعها وسائل تتفقّع بأقعة "التحديث" وـ"التطوير" وـ"الاندماج". وشاغلي في هذه الدراسة استظهار طبيعة تأثير هذا المشروع الإسرائيلي الرأسمالي الاستيطاني في مجموعة معينة من بدويات فلسطينيات من جيل النكبة، وكيف يتعاملن معه، ولكن أيضاً كيف يقاومنه، ودليلي إلى ذلك العمل الميداني الإثنوغرافي الذي أجريته في ثلاث بلدات بدوية (رهط، واللقيبة، وشقيب السلام) في المدة 2014-2016، وما يقارب الـ 80 مقابلة مع نساء مسّنات⁽²¹⁾. ظلت هذه المجموعة من النساء من هذا الجيل على هامش الدولة الرأسمالية الاستيطانية، فاحتفظن بفضائلهن الاجتماعي والثقافي والسياسي البديل الخاص بهن، وكن قادرات على مواجهة المنطق الاقتصادي للرأسمالية الاستيطانية المتمثل بما يسمى بـ"التحديث" *Modernization* وـ"التنمية".

أولاً: الساحرات، والتسبيح، والمشاعات: التنظير النوع الاجتماعي والرأسمالية الاستيطانية الإسرائيلية

وجّهت الباحثات النسويات في حقبة ما بعد الاستعمار سهام شكوكهن صوب ما لدى الحركة النسوية الليبرالية الكلاسيكية، لا سيّما في حالة النسوية، من ممكّنات تعمل على تقدّم النساء وتقويتهن في صراعاتهن في الجزء الجنوبي من العالم. فالتمسّن، بدلاً من ذلك، فضاءات وأشكالاً بديلة لتمكّن النساء اجتماعياً، وسياسياً واقتصادياً بعيداً عن ذلك المسار الحداثي الليبرالي لمسألة النوع الاجتماعي في الدولة وبناء الأمة⁽²²⁾. ولقد خضعت هذه السجالات لتدقيق إضافي من أجل القبض على

(21) محَضَّت البيانات الإثنوغرافية من خلال منهج المشاركة، وال مقابلات المفتوحة، والأحاديث غير الرسمية. ودارت جميع المقابلات والمحادثات باللغة العربية، وقامت بتسجيلها أو ينتوين بعض الملاحظات. ولقد استمرت غالباً بطبع جلسات ساعات وأيام، وغيرُ جميع أسماء من قابليهم لضمان حمايتهم. ومع أنّ النساء اللواتي تشير إليهن هذه المقالة متقدّمات في العمر (فوق الستين عاماً)، فإنّهن ينحدرن من خلفيات قبليّة ومناطقية مختلفة. ولا يجب أن يُنظر إلى هذه القيمة على أنها تمثل "نساء التّقب البدويات"، ولا أرمي إلى التّغافل في خلفياتهن المختلفة ولا تحليتها منهجه. إنما كان هدف هذا البحث إثنوغرافيّاً، من خلال ممارسات النساء وأشكال فاعليّهن (وليس من خلال أصوات مهينة)، والطرق التي تسلّكها السياسة الرأسمالية الاستيطانية الإسرائيليّة في فلسطين. ولكنني باحثة من خارج أهل البلاد، فإني أعدّ سياسة التضامن مسألة بالغة الأهمية للبحث في فلسطين وعنها ولأجلها. ينظر:

Sophie Richter-Devroe, *Women's Political Activism in Palestine: Peacebuilding, Resistance, and Survival* (Chicago: University of Illinois Press, 2018), pp. 20-27.

أود أن أقدم جزيل الشّكر لكلّ أولئك النساء اللواتي وافقن على المساهمة في هذا المشروع، ولكلّ من قدم لي يد المساعدة والضيافة في أثناء عملّي الميداني في التّقب لا سيّما العائلة التي استضافتني. تلقى هذا البحث تمويلاً من زمالة بحثية مبكرة أقامتها معهد البحث للفنون والإنسانيات (2014-2016) وكانت بعنوان "النوع الاجتماعي والاستعمار الاستيطاني: التّاريخ الشفاهيّة لنساء النقّب". وأشكّر ما قدمه معهد البحث للفنون والإنسانيات من دعم مادي. وأنا وحدّي أتحمل الأخطاء كلّها.

(22) ينظر:

Shirin M. Rai, "Women and the State in the Third World: Some Issues for Debate," in: Shirin M. Rai & Geraldine Lievesley (eds.), *Women and the State: International Perspectives* (London: Taylor and Francis, 1996); Kumari Jayawardena, *Feminism and Nationalism in the Third World* (London: Zed Books, 1986).

وللاطلاع على سياقات الشرق الأوسط، ينظر:

Abu-Lughod (ed.), *Remaking Women*; Deniz Kandiyoti, "Identity and its Discontents: Women and the Nation," *Millennium: Journal of International Studies*, vol. 20, no. 3 (1992), pp. 429-443.

خصوصيات الصراع التي تخوضها النسوة الفلسطينيات في سياق الاحتلال الإسرائيلي والاستعمار الاستيطاني⁽²³⁾.

وأنا أقترح هنا إعادة التفكير في هذا الإطار مرةً أخرى بالانصراف إلى تقاطعات الجندرة والعرقنة والطبيقة في سياق الاستعمار الاستيطاني الإسرائيلي وبني السوق الرأسمالية. وبينما أصبح بردايم الاستعمار الاستيطاني مهيئاً في الكتابات عن فلسطين/ إسرائيل منذ تسعينيات القرن العشرين⁽²⁴⁾، فإنه لحريُّ بنا ملاحظة أنَّ الكتاب الفلسطينيين⁽²⁵⁾ استعملوا هذا البردايم مبكراً مثلما استعمله باحثون نقديون لفهم السياسات الصهيونية في اغتصاب الأراضي وتوسيع التخوم⁽²⁶⁾، ونزع ملكيات المحلاّنين⁽²⁷⁾، واستغلال الأرض والعمل⁽²⁸⁾، وكذلك في مسألة المنطق والممارسة اللذين اتبعهما الاستعمار الاستيطاني في المعهود⁽²⁹⁾. ولقد وظَّفَ البحث في الآليات الاستعمارية الاستيطانية الطبقية عدسةً تحليليةً، قارئاً العلاقة بين الصهاينة المستوطنين والمستعمرين على أنها علاقة تهيمن عليها علاقات العمل، وعلاقة وسائل الإنتاج⁽³⁰⁾. ولعل عمل غيرشون شافير⁽³¹⁾ هو الذي سلَّط الضوء على مسائل الأرض والعمل؛ فقد بيَّنَ - وهو يجاجُ بأنَّ الاستعمار الاستيطاني قام على نزعة انتصارية أكثر مما قام على استغلال عرقي استعماري للعمل - أنَّ الصهاينة جهدوا منذ البداية على إقصاء عمل الفلسطينيين في محاولاتهم إنشاء "مستعمرة استيطانية نقية". وتذهب تحليلات شافير إلى أنَّ هدفهم لم يكن استغلال الموارد ومصادرة الأراضي من المحلاّنين من خلال

(23) Nadera Shalhoub-Kevorkian, *Militarization and Violence against Women in Conflict Zones in the Middle East: A Palestinian Case-Study* (Cambridge: Cambridge University Press, 2009); Islah Jad, *Palestinian Women's Activism: Nationalism, Secularism, Islamism* (Syracuse: Syracuse University Press, 2018); Richter-Devroe, *Women's Political Activism in Palestine*.

(24) Lorenzo Veracini, "'Settler Colonialism': Career of a Concept," *The Journal of Imperial and Commonwealth History*, vol. 41, no. 2 (2013).

(25) ينظر:

Jamil Hilal, "Imperialism and Settler Colonialism in West Asia: Israel and the Arab Palestinian struggle," *Utafi*, vol. 1, no. 1 (1976), pp. 51–70; Elia T. Zureik, *Palestinians in Israel: A Study of Internal Colonialism* (London: Routledge/Kegan Paul, 1979); Edward W. Said, *The Question of Palestine* (London: Routledge, 1979); Fayed A. Sayegh, "Zionist Colonialism in Palestine," *Settler Colonial Studies*, vol. 2, no. 1 (2012 [September 1965]), pp. 206–225; Ghazi Falah, "The Geopolitics of 'Enclavisation' and the Demise of a Two-State Solution to the Israeli–Palestinian Conflict," *Third World Quarterly*, vol. 26, no. 8 (2005), pp. 1341–1372.

(26) Baruch Kimmerling, *Zionism and Territory: The Socio-territorial Dimensions of Zionist Politics* (Berkeley: University of California Press, 1983).

(27) Maxime Rodinson, *Israel: A Colonial–Settler State?* (New York: Monad Press, 1973).

(28) Gershon Shafir, *Land, Labor, and the Origins of the Israeli–Palestinian Conflict 1882–1914* (Cambridge: Cambridge University Press, 1989); Gershon Shafir, "Zionism and Colonialism: A Comparative Approach," in: Michael Barnett (ed.), *Israel in Comparative Perspective: Challenging the Conventional Wisdom* (New York: State University of New York Press, 1996).

(29) Rosemary Sayigh, *The Palestinians: From Peasants to Revolutionaries* (London: Zed Books, 2007).

.Hilal; Rodinson: ينظر (30)

(31) Shafir, *Land*; Shafir, "Zionism and Colonialism."

استغلال عملهم، بل في الغالب من خلال قوة عمل المستوطنين والمهاجرين (ولا سيما اليهود المزراحيون واليهود الروس)⁽³²⁾.

ويلفت وولف انتباهنا إلى أن الاستعمار الاستيطاني، بوصفه بنية دائمة العمل، يهدف إلى محو المحلاّنين من خلال انتزاع أراضيهم وطردهم ومحوهم⁽³³⁾. أما حجّته التي تفيد أن "الاستعمار الاستيطاني، على عكس الاستعمار، لا يحطم كي يستغل، بل يحطم ليحلّ هو في محله"⁽³⁴⁾، فإنّما هي حجة تشير إلى الطبيعة المبدئية للاستعمار الاستيطاني. ومع ذلك، ربما يتجاهل وولف (وآخرون مثل فيراسيني⁽³⁵⁾)، وهو يميّز بين الاستعمار والاستعمار الاستيطاني ملاحظة كيف أن الاستغلال الرأسمالي يشكّل الاستعمار الاستيطاني ويعزّزه⁽³⁶⁾. وعلى الرغم من أنّ وولف يضع تميّزاً مهماً بين الأشكال السلبية والإيجابية لمحو المحلاّنين، فإنه يؤيد فكرة "أن المستعمرات الاستيطانية قد أُسّست في الأصل لغرض استخلاص فائض القيمة من عمل الأصالةين"⁽³⁷⁾. وبهذا، يمنح وولف انتزاع ملكية الأرضي الأسبقية على حساب أشكال مختلفة من الاستغلال الجسدي واستغلال العمل التي يتحمّلها المحلاّنون ويقاومونها في المستعمرة الاستيطانية⁽³⁸⁾. وكلّي أمل أن أيّن، في تحليلي انحراف نساء التقب البدويات في مسائل الأرض (الملكية) والعمل (عمل الإناث)، أن الاستعمار الاستيطاني والرأسمالية في فلسطين ليسا بنيتين منفصلتين. وفي الحقيقة، يمكن توصيف سياسات إسرائيل تجاه السكان الفلسطينيين المحلاّنين، لا سيّما منذ أواخر السبعينيات في القرن العشرين، بأنّها "رأسمالية - استيطانية".

وبغية فهم أفضل لأبعاد الجندرة في دولة إسرائيل الرأسمالية الاستيطانية، فإنّي أستند إلى عمل الباحثة الماركسية النسوية سيلفيا فيديريتشي. فهي تقرأ من جديد، في كتابها *كاليان والساحرة*⁽³⁹⁾، ظاهرة اصطياد الساحرات التي عرفتها أوروبا في القرون الوسطى خلال التحول من الإقطاع إلى الرأسمالية. وتدرس، متّجاوزة حدود التنظير النسوّي الراديكالي والاشتراكي لقمع النساء وفاعليتهنّ، تسيّج الأرض المشاع من خلال شخصية الساحرة بغية إبراز الموقّع المركزي الذي تؤديه أجساد

(32) ينظر أيضًا نقد لوكمان الموجه إلى تحليل شافير، الذي يسلط الضوء على دور العنف والإكراه اللذين يستعملهما الصهاينة من أجل "مستوطنة نقية":

Zachary Lockman, "Land, Labor and the Logic of Zionism: A Critical Engagement with Gershon Shafir," *Settler Colonial Studies*, vol. 2, no. 1 "Past is Present: Settler Colonialism in Palestine" (2012), pp. 9–38; Shafir, *Land*.

(33) Wolfe, "Settler Colonialism and the Elimination of the Native"; Wolfe, *Settler Colonialism and the Transformation of Anthropology*.

(34) Wolfe, "Settler Colonialism and the Elimination of the Native," p. 388.

(35) Lorenzo Veracini, "The Other Shift: Settler Colonialism, Israel and The Occupation," *Journal of Palestine Studies*, vol. 42, no. 2 (2013), pp. 26–42.

.Englert (36) ينظر:

(37) Wolfe, *Settler Colonialism and the Transformation of Anthropology*, p. 1.

(38) Shannon Speed, "Structures of Settler Capitalism in Abya Yala," *American Quarterly*, vol. 69, no. 4 (2017), pp. 783–790; Englert.

(39) Federici, *Caliban and the Witch*.

النساء في عمليات التحول الرأسمالية. كان تسييج الأراضي المشاع يهدف إلى "إعادة ترتيب أنماط ملكية الأرض واستعمالها وتدالوها"، ولكنه يهدف أيضًا إلى "إعادة تنظيم الحياة والديموغرافيا الاقتصادية الاجتماعية"⁽⁴⁰⁾. وكانت الأرض والعمل وأجساد النساء هي المستهدفة مثلماً ترى فيديريتشي. فلقد صودرت الأرضي المشاع من الفلاحين، فاستلزم الأمر ضبط الأجساد وتحويلها إلى أجساد مجتهدة بوصفها وسائل للإنتاج، وفي حالة أجساد الإناث بوصفها وسائل للتکاثر. واستهدفت التخبُّ الرأسمالية، الحديثة النشوة، بمبادرة سياسية واسعة تدعمها الكنيسة، المستنّات من النساء ووصمهن بـ "الساحرات"، لا لكونهن فقط أبدىن مقاومة تجاه مصادرة الأرضي، بل أيضًا لأنّ أجسادهن لا غُناء فيها من حيث اعتبارهن قوة عمل إنتاجية وأيضًا للتکاثر؛ فالمسنّات لا يستطيعن العمل في المصانع ولا يستطيعن إنجاب قوة عمل. وبالتالي، عولمن بوصفهن فائضات بالنسبة إلى النظام الجديد وطوردن بوصفهن "ساحرات"؛ فرسخت رسوخًا وطيدًا الحقيقة القائلة إنّ أجساد النساء تعمل لتکاثر الأمة بيلوجياً وثقافياً واجتماعياً، فصارت أهدافاً أساسية⁽⁴¹⁾ للتحكم السياسي الحيوي⁽⁴²⁾. وطوررت فيديريتشي هذه النقطة تطويراً ضافياً بالكشف عن أنّ أجساد النساء لم تُختزل إلى متجاجات لمواطنين ذكور في دولة الأمة (أو لدولة الأمة) فحسب، بل أيضًا متجاجات لعمال في السوق الرأسمالية.

ومع ذلك، كانت أجساد النساء موقع للمقاومة على نحو ما فهمته فيديريتشي من شخصية الساحرة. وهي تشکك في سردية عصر التنوير الشائعة التي ترى أنّ أساس اتهام النساء بممارسة السحر يعود إلى معتقدات مجتمع القرون الوسطى الخرافية "المختلفة". أما فيديريتشي فترى أنّ استهداف النساء كان بسبب تحديهن سياسات التسييج الرأسمالية. وفي أوروبا القروسطية، ولاحقاً في عمليات إعادة البناء وتسييجات الأرضي النيوليبرالية في القسم الجنوبي من العالم، كانت النساء في طليعة المقاومة، يحتججن على مصادرة أراضيهن ومحاولات محو طرق معيشتهن وثقافاتهن الأهلية. ومن خلال ممارساتهن الأهلية في التکاثر (الإنجاب وتربية الأطفال، وأعمال رعاية أخرى)، و المعارفهن اليومية عن الأرض، وطرقهن الأهلية في زراعة الكفاف والعيش المشترك، وكذلك ممارساتهن الاستشفافية المحلية المختلفة (الامر الذي أكسبهن سمعة "ساحرات" يمارسن "السحر"⁽⁴³⁾). دافعت النساء، وبَيْنَ وأُدْنَى بناء فضاءاتهن الجماعية البديلة بعيداً عن متناول الرأسمالية المخصصة، والاستعمار والاستعمار

(40) Gary Fields, "Landscaping Palestine: Reflections of Enclosure in a Historical Mirror," *International Journal of Middle East Studies*, vol. 42, no. 1 (2010), p. 66.

(41) تفهم فيديريتشي اصطياد الساحرات "مبادرةً سياسيةً واسعةً" قدمت لها الكنيسة "دعامة ميتافيزيقية وأيديولوجية"، ينظر: Federici, *Caliban and the Witch*, p. 168.

بهذا تدرك الدور الأيديولوجي الذي اضطاعت به الكنيسة، ولكنها تحدد التحولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية من الإقطاع إلى الرأسمالية أسباباً رئيسة لاصطياد الساحرات في القرون الوسطى.

(42) ينظر: Yuval-Davis

(43) Federici, *Caliban and the Witch*, p. 174.

الجديد، وسيطرة الدولة. وكانت في مشاعتهنّ وممارساتهنّ المشاعية اليومية⁽⁴⁴⁾ فضاءات لمقاومة أهلية حيث يجتمع الناس، ويشاركون في الموارد وينشئون الجماعات والبيوت، والروابط الجمعية التي تقف بالضد من منطق وقوى الإخضاع Subjectivizing التي بحوزة الدولة، والنيوليبرالية، وبني السوق الرأسمالية. وما دامت ممارساتهم المشاعية التي تنهض بها النساء لا تتماشى مع سردية التحديد الليبرالي والنيوليبرالي عن النمو والتمكين، ظلت تلك الأشكال التي اتخذتها فاعلية أولئك النساء مجھولةً من المقاربـات الـكلاسيكـية لـ"الـسياسي" Political ونضال النساء.

ما يجمع بين أشكال التسييج التي حلّلتـها فيـديـريـتشـي والمـشـروعـ الـاستـعـمـاريـ الـاسـتـيـطـانـيـ نـيـاتـهـماـ لـإـعادـةـ تـنظـيمـ الـعـلـاقـاتـ الـاجـتمـاعـيـةـ وـالـمـلـكـيـةـ لـلـأـرـضـ أوـ تـلـكـ الـتـيـ تـحـدـثـ عـلـيـهـاـ⁽⁴⁵⁾. إنـ التـولـيفـ بـيـنـ زـاوـيـةـ نـظـرـ فيـديـريـتشـيـ لـمـسـأـلـةـ النـوـعـ الـاجـتمـاعـيـ وـزاـوـيـةـ النـظـرـ المـارـكـسـيـةـ الـطـبـقـيـةـ،ـ الـتـيـ طـبـقـتـهـاـ درـاسـاتـ مـبـكـرـةـ عـنـ الـاسـتـعـمـارـ الـاسـتـيـطـانـيـ⁽⁴⁶⁾،ـ عـبـرـ التـركـيزـ عـلـىـ تـحـلـيلـ التـسيـيجـ وـالـمـشـاعـاتـ،ـ أـقـولـ إـنـ هـذـاـ التـولـيفـ تـعـدـ،ـ أـيـضـاـ،ـ بـإـثـارـةـ أـسـئـلـةـ ذاتـ صـلـةـ بـالـمـقاـوـمـةـ الـمـحـلـانـيـةـ فـيـ فـلـسـطـيـنـ.ـ وـبـتـطـيـقـ هـذـاـ الإـطـارـ عـلـىـ التـقـبـ،ـ أـسـاءـلـ:ـ هـلـ تـحـمـلـ الـمـسـتـانـاتـ فـيـ التـقـبـ مـمـكـنـاتـ مـقاـوـمـةـ أـوـ مـفـاـوـضـةـ تـسيـيجـ الـمـشـاعـاتـ وـتـوـقـيـ المـشـرـوعـ الـإـسـرـائـيلـيـ الـرـأـسـمـالـيـ الـاسـتـيـطـانـيـ الـذـيـ يـرـمـيـ إـلـىـ مـحـوـ حـيـاتـهـنـ الـأـهـلـيـةـ الـمـحـلـانـيـةـ عـلـىـ وـفـقـ مـاـ يـسـعـىـ إـلـيـهـ الـمـشـرـوعـ الـرـأـسـمـالـيـ الـاسـتـيـطـانـيـ الـإـسـرـائـيلـيـ؟ـ كـيـفـ تـحـدـىـ مـمـارـسـاتـهـمـ الـمـشـاعـيـةـ وـمـعـارـفـهـنـ الـيـوـمـيـةـ الـمـشـتـرـكـةـ الـمـتـعـلـقـةـ بـالـأـرـضـ ضـبـطـ أـجـسـادـهـنـ كـيـ يـصـبـحـ مـوـاـطـنـاتـ عـصـرـيـاتـ مـطـيـعـاتـ وـعـامـلـاتـ مـجـهـدـاتـ؟ـ مـاـ الـذـيـ يـمـكـنـ أـنـ تـكـشـفـهـ أـشـكـالـ مـقاـوـمـةـ النـسـاءـ الـيـوـمـيـةـ بـخـصـوـصـ أـدـوـارـ النـوـعـ الـاجـتمـاعـيـ وـتـقـاطـعـاتـ الـرـأـسـمـالـيـةـ وـالـدـوـلـةـ الـصـهـيـونـيـةـ الـاسـتـيـطـانـيـةـ فـيـ فـلـسـطـيـنـ؟ـ

حينما سـأـلـتـ النـسـاءـ عـنـ حـيـاتـهـنـ فـيـ بـلـدـاتـهـنـ،ـ نـادـرـاـ ماـ اـنـتـقـدـنـ سـيـاسـاتـ إـسـرـائـيلـ فـيـ التـحـضـرـ وـالـتـحـدـيـثـ بـالـقـوـةـ اـنـتـقـادـاـ مـبـاـشـرـاـ.ـ فـفـضـلـ وـعـيـهـنـ بـالـأـشـكـالـ الـمـتـنـوـعـةـ لـلـتـمـيـزـاتـ الـمـتـقـاطـعـةـ (ـالـنـوـعـ الـاجـتمـاعـيـ وـالـطـبـقـةـ وـالـعـرـقـ)ـ الـتـيـ يـوـاجـهـنـاـ بـوـصـفـهـنـ مـوـاـطـنـاتـ مـسـلـمـاتـ عـرـبـيـاتـ فـلـسـطـيـنـيـاتـ يـتـمـيـنـ إـلـىـ الـجـيـلـ الـأـوـلـ فـيـ إـسـرـائـيلـ،ـ وـبـالـنـظـرـ إـلـىـ مـاـ لـلـدـوـلـةـ فـيـ التـقـبـ مـنـ سـيـطـرـةـ وـمـراـقـبـةـ صـارـمـتـيـنـ،ـ لـمـ تـجـنـجـ النـسـاءـ إـلـىـ الـإـفـصـاحـ عـنـ اـنـقـادـتـهـنـ لـلـسـيـاسـاتـ إـسـرـائـيلـيـةـ.ـ وـمـعـ ذـلـكـ،ـ تـكـشـفـ الـعـنـيـةـ الـإـثـنـوـغـرـافـيـةـ بـالـمـارـسـاتـ الـيـوـمـيـةـ كـيـفـ أـنـ نـسـاءـ هـذـاـ الجـيـلـ يـعـيـنـ جـيـداـ مـاـ يـوـاجـهـهـنـ مـنـ اـسـتـغـلـالـ

(44) Ibid.; Silvia Federici, *Re-enchanting the World: Feminism and the Politics of the Commons* (Oakland: PM Press/Kairos, 2019).

لـمـفـهـومـ الـمـشـاعـيـاتـ تـرـاثـ طـيـبـ فـيـ الـكـتـابـاتـ الـمـارـكـسـيـةـ حـولـ التـسيـيجـ.ـ فـلـقـدـ بـيـنـتـ لـوـكـسـمـورـغـ،ـ مـثـلـاـ،ـ كـيـفـ أـنـ الـاسـتـغـلـالـ الرـأـسـمـالـيـ يـحـتـاجـ إـلـىـ مـصـادـرـ الـمـشـاعـاتـ وـتـفـكـيـكـ مـاـ سـمـتـهـ "ـالـاـقـتـصـادـ الـطـبـيـعـيـ،ـ مـنـ أـجـلـ اـسـتـغـلـالـ الـأـرـضـ مـوـرـدـاـ لـتـرـاـكـمـ رـأـسـ الـمـالـ".ـ Rosa Luxemburg, *The Accumulation of Capital* (New York: Routledge, 2003).

وـأـظـهـرـ هـارـفـيـ بـعـدـ عـقـودـ مـنـ ذـلـكـ كـيـفـ أـنـ "ـالـتـرـاـكـمـ نـزـعـ الـمـلـكـيـةـ"ـ الـنـيـوليـبـرـالـيـ يـهـاجـمـ الـمـشـاعـاتـ بـطـرـقـ مـخـتـلـفـةـ.ـ David Harvey, *The New Imperialism* (Oxford: Oxford University Press, 2003).

(45) يـنـظـرـ: Fields, p. 65

(46) يـنـظـرـ: Hilal

وتميّز، ويُشتركن بهذا الوعي الذي يحملنه في الصراعات اليومية ليتحدّين ويراؤغن، بهدوء وفطنة وعلى نحو مستمر، سيطرة الدولة والسوق على أراضيهم ومجتمعاتهن، وأجسادهن وحيواتهن الحميمية. وسائلٌ في المحور التالي صراعاتهن اليومية الصغيرة، وممارساتهن المعاشرة، بخصوص ثلاثة حقول عيّتها فيديريتشي: الأرض (الأسيجة)، والعمل (الاستغلال)، وأجساد (النساء).

ثانيًا: مصادرة الأرض والتسييج وحركة النوع الاجتماعي أو جموده: "كان البيت سجن"

"لا تسمح لك [السلطات الإسرائيلية] بإضافة أي شيء حتى إلى هذه المساحة الكبيرة داخل بيتك الخاص. نحن موضوعون على خارطة. وإذا ما أضفت شيئاً كثيراً، سيأتون ويعطّلوك. فإذا بنيت شيئاً، أتوا وحطّموه".⁽⁴⁷⁾

تبلغ آمنة من العمر 80 عاماً، وهي من الناجين من أيام النكبة. وتعيش اليوم في رهط، أكبر البلدات السبع. وقد شُيّدت رهط في سبعينيات القرن العشرين ويقطنها اليوم 65000 إنسان. وإنّه لحق قول آمنة إنّ المقيمين البدو في رهط "موضوعون على خارطة"؛ فلقد رُحّلوا بالقوة إلى البلدات، ونُزّعت أملاكهم، واجتُثّوا من أراضي أسلافهم، بوصف ذلك جزءاً من سياسات التحضر التي تتبعها إسرائيل منذ أواخر ستينيات القرن العشرين.

تتّخذ هذه العملية المطردة في مصادرة الأرضي والسيطرة على المكان أبعاداً مؤسّساتية (من خلال الصندوق القومي اليهودي)، وقانونية (مثلاً من خلال قانون أملاك العائبين، ومن خلال إعادة تفسير قوانين الميري والموروث العثمانية⁽⁴⁸⁾) ومادية (من خلال تحويل المشهد الطبيعي، وتقيد الدخول، وإقامة حدود للإقصاء/ الاحتواء⁽⁴⁹⁾). وقد تمثّل جوهر المشروع الاستعماري الاستيطاني⁽⁵⁰⁾، الذي جرى تفريذه المرة الأولى خلال النكبة والحكم العسكري، بتسبيح الأرضي المشاع، أي أراضي أسلاف القبائل البدوية في النقب، حيث بنوا حيّاً أهليّة من خلال زراعة الكفاف والرعي. واستمر التسييج اللاحق والسيطرة على المكان تحت غطاء التحديث في مشروعات الدولة الحضريّة منذ ستينيات

(47) آمنة، مقابلة شخصية، رهط، 2016؛ ينظر كذلك:

Sophie Richter-Devroe, "Oral Traditions of Naqab Bedouin Women: Challenging Settler-Colonial Representations Through Embodied Performance," *Journal of Holy Land and Palestine Studies*, vol. 15, no. 1 (2016), pp. 31–57.

(48) ينظر:

Paul Kohlbry, "Owning the Homeland: Property, Markets, and Land Defense in the West Bank," *Journal of Palestine Studies*, vol. 47, no. 4 (2018), pp. 30–45; Ahmad Amara, "The Negev Land Question: Between Denial and Recognition," *Journal of Palestine Studies*, vol. 42, no. 4 (2013), pp. 27–47.

(49) ينظر: Fields, p. 70

(50) Yiftachel, "Epilogue"; Nasara et al. (eds.); Kedar, Amara & Yiftachel.

القرن العشرين حينما اقتلع البدو بالقوة مرة أخرى ورحلوا إلى البلدات السبع⁽⁵¹⁾. وفي حين ادعت الحكومة الإسرائيلية توفير المزيد من الخدمات الفعالة في المقاطعات الحضرية مثل السكن والطرق والخدمات الطبية والماء والتيار الكهربائي والمدارس ... إلخ، فإنها كانت تفتقر بوضوح شديد إلى بنية تحتية اقتصادية وفرص للعمل.

لا يتلقى المقيمون البدو، في ما يسمى بـ"القرى غير المعترف بها" (أي المساكن التي شيدت خارج البنى المعترف بها التي خططتها الدولة)، دعماً في البنية التحتية (طرق وكهرباء ومياه)، ومعرضون للإخلاء، وتُدمر بيوتهم بانتظام⁽⁵²⁾. وعلى هذا النحو، يكون الصراع على الأرض في النقب؛ فبدو النقب يشكلون ما يقرب من 25 في المئة من مجموع سكان النقب، ولكن سلطتهم على الأرض لا تتجاوز 3 في المئة إلا بقليل⁽⁵³⁾. ولنست "القرى غير المعترف بها" ضمن الخطط الرسمية للدولة ومسوحاتها وإحصاءاتها، وتعتبر غير قانونية. ولا يُعترف بالبدو رسمياً ولا يوضعون على الخريطة، بحسب تعبير آمنة إلا بعد أن يُقتلعوا من بلداتهم ثم يوضعون في بلدات مكتظة بالسكان.

تعبر آمنة عن رأي الكثير من النساء المسنات. كان اقتلاعهن من قراهن ونقلهن إلى بلدات تجربة مؤلمة حطمت مشاعرها، ربما أكثر من الرجال ومن الجيل الأحدث، بفقدان حرياتها وأدوارها في المجتمع. وفي المقابلة التي أجريتها في البلدة عام 2016 مع أم فايز، وهي امرأة بدوية مسنة، عبرت عن مشاعرها بقولها: "كأنّ البيت سجن، وليس ثمة فضاء. كنّا نشعر بالاسترخاء في البر، كانت هناك حرية"⁽⁵⁴⁾.

أغلب النساء من هذا الجيل لم تتألف مع البيئة الحضرية؛ فالبيت المشيد، أو على نحو أعم مشهد البلدات الحضري، يمثل لهنّ مكاناً ضيقاً يقع تحت مراقبة مستمرة من طرف الدولة. والعيش بين أربعة جدران أمر لا تطيقه أغلبيتهنّ. إنّ المرأة من هذا الجيل، مثلما تعبّر أم فايز، لا تشعر بالحرية إلا في البر.

تشعر النساء من جيل النكبة، اللواتي ترعرعنَ في بيئَة زراعية شبه رعوية في أراضي أسلافهنّ، بالتقيد لأنهنَ فقدنَ حرية الحركة، ويسعنَنَ أنْ مكانهنَ في المقاطعات الحضرية ضيقٌ ومكتظٌ بالناس.

(51) بينما تم تخطيط البلدات السبع لأغراض الترحيل القسري للسكان المحليين وضمّ أراضيهم، فإنّ الأمر جرى على نحو مختلف من حيث دقة التخطيط والتقييدات.

(52) Ismael Abu Saad, "State-Directed 'Development' as a Tool for Dispossessing the Indigenous Palestinian Bedouin-Arabs in the Naqab," in: Mandy Turner & Omar Shweiki (eds.), *Decolonizing the Palestinian Economy: De-Development and Beyond* (London: Palgrave Macmillan, 2014), p. 142.

(53) Thabet Abu-Ras, "Land Disputes in Israel: The Case of the Bedouin of the Naqab," *Adalah Newsletter*, vol. 24 (April 2006), accessed on 2/1/2022, at: <https://bit.ly/32zTbz9>; Abu Saad, "State-Directed 'Development'."

(54) أم فايز، مقابلة شخصية، شقب السلام، 2016.

لقد كنّ يتمتعن بحرية الحركة، ويؤدين دوراً مهماً في الأنشطة الزراعية والرعوية على أراضهن⁽⁵⁵⁾. جميع النساء اللواتي تحدثت معهن تكلمن كثيراً عن حيواناتهن قبل أن يُقتلن ويرحلن من أراضيهن. تكلمت النساء عن محاصيلهن ومنتجاتهن التي كنّ يصنعها، كالجبن والألبان، وتربيتهن للحيوانات، وإتقانهن حياكة السجاد والتطريز، وتكلمن أيضاً عن الأجساد المتعافية، والعلاقات الاجتماعية ومجتمعاتهن التي ترعرعن فيها في أحضان البر. كانت النساء يضطعن بدور أساسي وتكاملي في العملية الاقتصادية، وكذلك في حياة مجتمعاتهن الاجتماعية⁽⁵⁶⁾. وعلى الرغم من أن الأدوار التي يؤديها الذكور والإناث في اقتصاد العائلة كانت مرسومةً بوضوح، كان الفصل بين الجانبين محدوداً عملياً حينما تكون ثمة حاجة إلى عمل الرجال والنساء في أراضيهما.

إن سياسات المكان، وفي الحقيقة سياسات "تدمير المكان" Spacio-cidal، آليات أساسية من خلالها خلق الاستعمار الإسرائيلي نظاماً اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً طبياً وجندرياً داخل إسرائيل، وأيضاً في الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس الشرقية⁽⁵⁷⁾. وتعوق السلطة الإسرائيلية الاستعمارية الاستيطانية، بتبيّنها سياسة "احتياط الحركة" من نوع معين، حركة الناس والبضائع والثقافة والأفكار التي كانت تسمّ بمسمّها بلاد الشام قروناً عديدة⁽⁵⁸⁾. وعلى هذا النحو، فرضت التراتبية الهرمية بين المستوطنين والمحلّلين، المستعمرين والمستعمّرين، من خلال سياسات المكان؛ ففي حين يتمتع المستوطنون بحرية الحركة في الأرض، تعرّق حركة الفلسطينيين ويُتحكم فيها وتُشلّ⁽⁵⁹⁾ بما ينبع من ذلك من تأثيرات مجندرة⁽⁶⁰⁾.

ينظر: (55)

Sophie Richter-Devroe, "Biography, Life History and Orality A Naqab Bedouin Woman's Narrative of Displacement, Expulsion and Escape in Historic Southern Palestine, 1930–1970," *Journal of Women of the Middle East and the Islamic World*, no. 14 (2016), pp. 310–341; Sarab Abu-Rabia-Queder, "Land, Identity and History: New Discourse on the Nakba of Bedouin Arabs in the Naqab," in: Nasasra et al. (eds.).

(56) Steven C. Dinero, "Female Role Change and Male Response in the Post-Nomadic Urban Environment: The Case of the Israeli Negev Bedouin," *Journal of Comparative Family Studies*, vol. 28, no. 3 (Autumn 1997), p. 28; Aleksandra Biernacka, Sarab Abu-Rabia-Queder & Gideon M. Kressel, "The Connective Strategies of Bedouin Women Entrepreneurs in the Negev," *Journal of Arid Environments*, vol. 149 (2018), pp. 62–72.

(57) Sari Hanafi, "Explaining spacio-cide in the Palestinian Territory: Colonization and the State of Exception," *Current Sociology*, vol. 61, no. 2 (2012), pp. 190–205.

(58) Lloyd & Wolfe, p. 116.

ينظر أيضاً: (59)

Eyal Weizman, *Hollow Land: Israel's Architecture of Occupation* (London: Verso, 2007); Cédric Parizot, "Viscous Spatialities: The Spaces of the Israeli Permit Regime of Access and Movement," *South Atlantic Quarterly*, vol. 117, no. 1 (2017), pp. 21–42; Julie Peteet, *Space and Mobility in Palestine* (Bloomington: Indiana University Press, 2017); Julie Peteet, "Closure's Temporality: The Cultural Politics of Time and Waiting," *South Atlantic Quarterly*, vol. 117, no. 1 (2018), pp. 43–64; Helga Tawil-Souri, "Uneven Borders, Coloured (Im)mobilities: ID Cards in Palestine/ Israel," *Geopolitics*, vol. 17, no. 1 (2012), pp. 153–176.

(60) Rema Hammami, "Destabilizing Mastery and the Machine: Palestinian Agency and Gendered Embodiment at Israeli Military Checkpoints," *Current Anthropology*, vol. 60, no. 19 (2019), pp. 87–97; Mark Griffiths & Jemima Repo, "Women's Lives Beyond the Checkpoint in Palestine," *Antipode*, vol. 52, no. 4 (2020), pp. 1104–1121.

أفضى تجميد حركة النساء في التقب، ونقلهم إلى جيوب حضرية إلى تشديد السيطرة الأبوية؛ فقد فقدت النساء، لا سيما من الجيل الأقدم، حرياتهن وأدوارهن ومكانتهن السابقة⁽⁶¹⁾. لم يكن التحضر لهنّ، أي سياسات التسييج والحبس والتجميد، فقدانًا لأراضيهنّ، ومصادر كفاف عيشهنّ، وحرياتهنّ في الحركة فقط، بل كان أيضًا فقدانًا لهوياتهنّ الجماعية وطريقة عيشهنّ الأهلية؛ باختصار كان فقدانًا لمشاعرها. في البيئة الحضرية تضاءلت، على نحو بعيد، الفضاءات التي تشارك فيها النساء اجتماعيًّا وسياسيًّا، وازداد الفصل بين الجنسين، ووضعن تحت مزيد من المراقبة، وتحولن إلى مربيات ومدبرات منازل⁽⁶²⁾.

دعمت إسرائيل، إلى جانب مشروعها "التحديسي"، قيام الحركة الإسلامية (بوصفها بديلاً "الطف" من الحركة الوطنية الفلسطينية) وعززت الانقسامات القبلية في البلدات⁽⁶³⁾. ومن خلال تعاظم المفاهيم المحافظة ذات المرجعية الدينية عن الحشمة والتقوى، صار فرض مزيد من القيود على النساء في المساحة الجديدة التي حددت لهنّ "ميدانًا خاصًا" أمراً اعتمادياً. وصارت أجساد النساء، على نحو تمثل، في وقت واحد، مصدر قلق لإسرائيل بخصوص المسألة الديموغرافية، وموقعًا يوصم البدو من خلاله بـ"الخلف" (مثلاً: من خلال فكرة تعدد الزوجات⁽⁶⁴⁾، و/ أو رمزاً إلى التقدم والحداثة (مثلاً من خلال فكرة تعلم النساء أو وظيفتهنّ). وعلى وفق هذا المنطق، ما دامت النساء المسنّات لا يقدمن

(61) ينظر:

Sarab Abu-Rabia-Queder, Avigail Morris & Heather Ryan, "The Economy of Survival: Bedouin Women in Unrecognized Villages," *Journal of Arid Environments*, vol. 149, no. 2 (2019), p. 82; Richter-Devroe, "Biography," pp. 327–329.

ثمة حقل بحثي نسوي ثري يتبين التناقضات بين الأبوية والاحتلال والاستعمار الاستيطاني الإسرائيلي. وهذا العمل يبين سياسات إسرائيل المختلفة، بخصوص العسكرية والعنف، ينظر:

Shalhoub-Kevorkian; Rana Nashashibi, "Violence against Women: The Analogy of Occupation and Rape (The Case of the Palestinian People)," in: Ulrike Auga & Christina von Braun (eds.), *Gender in Conflicts: Palestine–Israel–Germany* (Berlin: LIT Verlag, 2006), pp. 183–190;

وسياسات ولوائح الزواج:

Mark Griffiths & Mikko Joronen, "Marriage Under Occupation: Israel's Spousal Visa Restrictions in the West Bank," *Gender, Place and Culture: A Journal of Feminist Geography*, vol. 26, no. 2 (2019), pp. 153–172;

وتعدد الزوجات "والتحديث" والسياسات الديموغرافية:

Kanaaneh; Abu-Rabia-Queder, "Redefining Polygamy Among the Palestinian Bedouins in Israel."

والسيطرة على الحركة في المكان أو تجميدها:

Richter-Devroe, *Women's Political Activism in Palestine*, pp. 109–115.

(62) حول تقوية السيطرة الأبوية على النساء الفلسطينيات، ينظر:

Gillian Lewando-Hundt, "Women's Power and Settlement: The Effect of Settlement on the Position of Negev Bedouin Women," Master Dissertation, University of Edinburgh, Scotland, 1978; Longina Jakubowska, "Finding Ways to Make a Living," *Nomadic Peoples*, vol. 4, no. 2 (2000), pp. 94–105; Dinero.

(63) Yiftachel, "Epilogue," p. 7.

(64) ينظر:

Abu-Rabia-Queder, "Redefining Polygamy Among the Palestinian Bedouins in Israel."

عملاً، ولا في طوقيهن تكاثر النسل لستغله الرأسمالية، يصبحن فائضات عن حاجة مشروع الدولة والسوق في التطور. وعلى هذا المنوال، تركت مصادر الأرض وفرض التحديث القسري في النقب آثارهما في النساء بطريقة تحمل علامات مشابهة لعمليات التطور الرأسمالية التي وصفتها فيديريتشي. ولكن في حين تعقب فيديريتشي التحولات من النظام الإقطاعي إلى المجتمع الرأسمالي في أوروبا القرون الوسطى، يجب وضع التحديث القسري وتسريح المشاعات في النقب في سياق مشروع رأسمالي استيطاني إسرائيلي لغرض المحظوظ الإيجابي للمحلاذين.

وعلى الرغم من هذه الاختلافات، تحمل أبعاد هذه العملية المتعلقة بالنوع الاجتماعي تشابهات. فالنساء البدويات من الجيل الأقدم، شأنهن شأن "الساحرات" في القرون الوسطى، يوجّهن الفضاءات الاستعمارية في البلدات الحضرية، ويضفين عليها دلالات جديدة، ويعدن تكيفها، في محاولة منهن لجعلها فضاءاتهن الخاصة بهن. فالكثير من نساء هذا الجيل يرفضن العيش حبيبات البيوت، وبدلًا من ذلك يقضين أغلب أوقاتهن خارج البيوت. وفي حين أنّ لدى الرجال مكانًا عامًا يلتئمون فيه، وهو "الشقّ"، الذي غالباً ما يكون متصلًا بالمنزل المبني، ومشيدًا حوله إطار خرساني أو معدني، فإنّ لدى معظم النساء المستنات، اللاتي أجريت معهن مقابلات، خياماً مؤقتة، تشبه خيامهن البدوية الأصلية، يضربيها في أفنية قرية من بيتهن المبنية. وبدلًا من استعمال الصوف لنسج خيامهن، يستعملن اليوم لتشييدها أغطية بلاستيكية أو أنسجة قماشية وخشبية و/أو صفائح معدنية متموجة.

آخرني الكبير منهن أنهن يمضين في خيامهن الصباح والظهيرة والمساء، وهناك يستقبلن الضيوف، ويشربن الشاي والقهوة، ويتحدثن ويتناقشن وينمن، فهناك يشعرن أنهن يتنفسن. ولقد أكدت لي أم ناصر وأم فايز حاجتيهما إلى منظر مفتوح لا تطبق عليه جدران أو أسوار: "ما لي أنا والبيت؟ البيت مغلق وصغير. فأنا إذا جلست هنا [في الخيمة] أستطيع أن أرى العالم كله، أليس كذلك. في البيت لا ترين أي شيء. أما هنا فترى كل شيء".⁽⁶⁵⁾

كانت جالسةً في خيمتها، في الفناء الخلفي لبيتها، حيث هيأت موقداً صغيراً، وكانت بصحبتها جاراتها لتناول الشاي والقهوة. وبعد أن رفعت أغطية الخيمة الجانبية انكشف أمامها منظر يطل على الحقول من على حافات مبني البلد الخرسانية وما وراءها.

ولمتابعة أساليب الحياة وممارساتهن المشاعية التي عشناها قبل أن يؤتى بهن إلى البلد، احتفظت النساء بمعاييرهن حتى في المدن: غنم ودجاج وديوك رومية، وأحياناً جمال. وإذا ما توافرت لديهن مساحة من الأرض عملن على زراعتها على نحو محدود: يزرعن أشجار الزيتون والباقوليات وغيرها من الخضار والفواكه الصغيرة في الساحات المحيطة بالبيوت التي نقلن للعيش فيها. وما تزال معظم النساء يجدن ويهيئن، حتى في بيوت البلدات المكتظة، مكاناً في أفنيةهن الخلفية للاستمرار في إعداد الخبز على الصاج، وصنع اللبن والجبن، والغزل والنسيج. لا ريب في أن "الاقتصاد الكفاف"⁽⁶⁶⁾ هذا

(65) أم ناصر، مقابلة شخصية، شقيق السلام، 2014.

(66) Abu-Rabia-Queder, Morris & Ryan.

ليس كافياً، ولكنه يحافظ على فضاء اقتصادي بديل (ومن ثم اجتماعي وسياسي أيضاً)، يختلف عن ذلك الفضاء الذي تصوره المشروع الرأسمالي الاستيطاني ويوازيه.

وتحاول النساء أيضاً مغادرة البلدات كلما أمكن ذلك. ففي كثير من الأحيان، ولكن ليس دائمًا تنقل العديد من النساء المسنات، شهوراً قليلة من السنة، خلال فترة الرعي، ماشيتهن خارج البلدة إلى الحقول. وقد وسم هذا الاتصال من المخيمات الصيفية إلى المخيمات الشتوية حياتهن السابقة ووفر لهن حرية التنقل في مناطق شاسعة من الأرض. وتحافظ النساء، باستمرارهن في هذا النمط الرعوي شبه المترحل إلى أقصى حد ممكن، على علاقتهن بالأرض قدر الإمكان. والتقيت أيضاً بالعديد من المسنات اللاتي نظمن زيارات عودة، واصطحبن معهن عائلتهن ومجتمعاتهن، لا سيما جيل الشباب، إلى أراضي أجدادهن للنزيهات أو للرحلات العائلية.

وفي حين تلقي المسنات على عاتقهن مهمة رعاية علاقات عوائلهن بأراضيهم، فإنهن ينقلن أيضاً ما لديهن من معرفة بالأرض من خلال الأغاني والشعر الشفاهي⁽⁶⁷⁾ والذكريات⁽⁶⁸⁾، ومن خلال ذلك تذكّر المسنات أقاربهن بأسماء أراضي أسلافهم العربية (وبذلك يفتقدن تهويذ الدولة للأرض من خلال ممارسات التسمية بالعبرية⁽⁶⁹⁾، وبالحيوات التي عاشهوا على أرضهم، وكيف درجوا على ترسيم الحدود بين أراضي القبائل المختلفة، وزرعوا أنواعاً مختلفة من الشعير والقمح والحبوب والخضروات وحصدها).

من خلال هذه الممارسات المشاعية اليومية، تستأنف المسنات أنماط حياتهن السابقة، وينقلن إلى الأجيال القادمة المعرف والمدركات والرؤى المحلانية إلى العالم، لتنذيرهم بالحيوات والتاريخ والتجارب التي عاشهها آباؤهم وأجدادهم قبل ترحيلهم القسري من أراضيهم. في البلدات سُتعمّر الفضاءات المحلانية، لكن المسنات يحافظن، مع ذلك، على علاقتهن الحميمة والعاطفية البديلة مع الأرض والمكان والمجتمع الذي نشأن فيه. إنّهن يرفضن استعمار هوياتهن وارتباطهن الاجتماعية

(67) Richter-Devroe, "Oral Traditions of Naqab Bedouin Women."

(68) Abu-Rabia-Queder, "Land"; Sarab Abu-Rabia-Queder, "Memory, Belonging and Resistance: The Struggle over Place among the Bedouin-Arabs of the Naqab/ Negev," in: Tovi Fenster & Haim Yacobi (eds.), *Remembering, Forgetting and City Builders* (London: Routledge, 2016); Richter-Devroe, "Biography."

حظي دور الذاكرة والتاريخ المحلانيين في فلسطين بوصفهما طريقة لمقاومة ممارسات وخطابات المحو الإسرائيلي بانتهاء كثير من البالشين، وللاطلاع على طرق التركيز على ذاكرة الكلبة، ينظر:

Ahmad H. Sa'di & Lila Abu-Lughod (eds.), *Nakba: Palestine, 1948, and the Claims of Memory* (New York: Columbia University Press, 2007);

وعلى تركيز خاص على الذاكرة في سياق الفلسطينيين في إسرائيل، ينظر:

Nadim N. Rouhana & Areej Sabbagh-Khoury, "Memory and the Return of History in a Settler-colonial Context: The Case of the Palestinians in Israel," *Interventions*, vol. 21, no. 4 (2019), pp. 527–550.

(69) ينظر:

Mansour Nasasra, "The Ongoing Judaisation of the Naqab and the Struggle for Recognising the Indigenous Rights of the Arab Bedouin People," *Settler Colonial Studies*, vol. 2, no. 1 "Past is Present: Settler Colonialism in Palestine" (2012), pp. 81–107.

ومدركاتهن. وبدلًا من ذلك، يتخيلن ويعدن بناء ويعشن مشاعتهن المحلانية، وفضاءاتهن المادية والفكرية داخل وضد قيود العنف الاستعماري الاستيطاني المجندر والمعرقني والطبيقي.

ثالثًا: استغلال العمل وفاعلية الإناث المحلانية: "والآن، فإن كل شيء يتعلّق بالمال"

حينما زرت صبيحة، وهي امرأة من جيل النكبة تعيش في اللقية، ثاني أكثر بلدة بدوية في النقب، أسهبت كثيًراً وهي تشرح لي كيف كانت حياتها قبل أن تقتلتهم إسرائيل بالقوة من أراضي أسلافهم لتجسّسهم في جيوب حضرية. ومثل الكثير من النساء، ما زالت تحفظ بعئنها ودجاجاتها في الفناء الخلفي، وتؤدي أعمالها اليومية؛ تخبز على الصاج وتجمّع بنساء آخريات يشرين الشاي والقهوة. ومع ذلك، لعلها كانت الأكثر صراحة في التعبير عن فهمها الثاقب ونقدّها للكيفية التي تتبعها الدولة وبنى السوق في ضبط الواقع الاجتماعية في مجتمعها المحلاني وإعادة بنائها. لقد نضّجت نقدّها هذا من ذكرياتها عن الماضي: "في أيامنا الخوالي، نحصل على الكثير من ماء البئر. وتناول الأغنام الحشائش في الجبال [...]. أما هنا في هذه البلدة فليس ثمة شيء من ذلك. ليس ثمة أرض. لقد استولت الحكومة عليها [...]. كانت الحياة، عندما أتذكرها الآن، هنيةً. توفي جدي وأبي، وليتني متُّ معهما. الحياة الآن صعبة. ولا أطيقها. المال هو كل شيء. الحبوب، والماء، والملابس، وتعليم الأطفال، كل ذلك يحتاج إلى مال. وليس لدينا المال. والناس تقول إن الوضع الآن أفضل. فأجيدهم: 'كيف؟ إن الحياة شاقة!' [يرون] الحياة أفضل لأن الماء موجود، والكهرباء، والبيوت، والتلفزيونات، ولكن عليك أن تدفع المال في المقابل"⁽⁷⁰⁾.

كانت محققةً في نقدّها. فمشروع "التحديث" و"التحضر" الإسرائيلي لم يحسن معايير حياة البدو في النقب، بل في الحقيقة قاد المجتمع إلى وضع مضطرب، وفقر، واعتماد على العمل المأجور. وعلى الرغم من اختلاف البدو الفلسطينيين عن الفلاحين، فإنّهم كانوا قد مارسوا الزراعة في أراضيهم على نطاق ضيق، وعملوا في التجارة⁽⁷¹⁾. وهكذا، خضعوا لعملية تحول المجتمعات الزراعية إلى العمل المأجور⁽⁷²⁾ التي هي من صميم التحولات الرأسمالية، ولكنّها تدخل أيضًا في عملية الاستعمار الاستيطاني في لحظات مختلفة.

(70) صبيحة، مقابلة شخصية، اللقية، 2015.

(71) ينظر:

Ahmad Amara, "Beyond Stereotypes of Bedouins as 'Nomads' and 'Savages': Rethinking the Bedouin in Ottoman Southern Palestine, 1875–1900," *Journal of Holy Land and Palestine Studies*, vol. 15, no. 1 (2016), pp. 59–77; Salman Abu Sitta, "The Denied Inheritance: Palestinian Land Ownership in Beer Sheba." Paper Presented to the International Fact-Finding Mission, Regional Council of Unrecognized Villages, Negev, 2009; Falah, "How Israel Controls the Bedouin in Israel."

(72) Fields, p. 71.

صحيح أن الاستعمار الاستيطاني يسعى اليوم جاهداً من أجل "مستعمرة استيطانية نفية"⁽⁷³⁾، فيزيد من عدد المستوطنين ويمحو حضور السكان المحليّين، معتمدًا على الدوام على عمل المستوطن و/أو المهاجر. ومع ذلك، ففي حين كان هدف عقائد العمل الصهيونية المتمثّلة بـ"الاستلاء على العمل" وـ"العمل العبري" هو إقصاء الفلسطينيين عن قوة العمل⁽⁷⁴⁾، فإن هذا الأمر قد تغيّر وكان ينبغي تكييفه منذ أواسط ستينيات القرن العشرين فصاعداً على نحو خاص. فقد عوّلت إسرائيل كثيراً في الضفة الغربية، مثلاً، على استغلال عمل العمال الفلسطينيين المأجورين على أساس عرقي بعد احتلال عام 1967⁽⁷⁵⁾، وفي النّقْب أيضًا دفع نقلّ المحلاّنِين بالقوّة إلى جيوب حضريّة منذ منتصف ستينيات القرن العشرين عمليّة تحول الاقتصاد الاستيطاني إلى عمالة مأجورة. وبينما عليه، فإنّ الفصل المفهومي الصارم بين الاستعمار (بوصفه مشروعًا لاستغلال العمل) والاستعمار الاستيطاني (الذّي يعمل على محو السكان المحليّين) هو فصل لا يضع يده على الطرق التي يسلكها "الاستعمار الاستيطاني" [إسرائيل مثلاً] في امتلاك استراتيجيات مختلفة تشمل على الاستغلال أو المحو، أو عليهما معاً⁽⁷⁶⁾.

جزء كبيرٌ من عمل الفلسطينيين في إسرائيل هو عملٌ غير رسمي وقليل الأجر. وتبلغ مساهمة قوة العمل الرسمية لبدو النّقْب ما يقارب الـ 28 في المئة، ومتّوسط الرواتب الشهريّة يساوي 1229 دولاراً أميركيّاً مقارنةً بـ 2373 دولاراً أميركيّاً يسلّمها سكان إسرائيل اليهود⁽⁷⁷⁾. وقد تمكّن الشّيّان الفلسطينيون من العثور على عمل في الغالب في القطاعات الصناعية الإسرائيليّة أو المصانع أو في الحقول الزراعيّة بوصفهم عمّالاً موسميين زهيدي الأجر. وما نقل مصنع صودا ستريم Soda Stream من مستوطنة إسرائيليّة غير شرعية في الضفة الغربية إلى النّقْب⁽⁷⁸⁾ إلا مثال واحد على كيفية اعتماد الدولة الرأسماليّة الاستيطانيّة على استغلال العمالة المحليّة في محاولتها لتوسيع الحدود، وأيضاً لتوسيع بنى السوق الرأسماليّة. فإسرائيل تنظر إلى السكان المحليّين بوصفهم قوّة عاملة رخيصة، والأرض ليست مورداً للاستيطان فحسب، ولكن أيضًا للإنتاج ومشروعها الرأسمالي. وفي مسعى من الدولة لتحويل بدو النّقْب الذين بقوا على الأرض إلى قوّة عاملة زهيدة لا تملك أرضًا، فقد حاصرتهم في دائرة الفقر ونزع

(73) Shafir, *Land*.

(74) Ibid.; Lockman, p. 12; Englert, p. 1655.

(75) Hilal; Andy Clarno, "Neoliberal Colonization in the West Bank," *Social Problems*, vol. 65, no. 3 (August 2018), pp. 323–341; Kohlby.

(76) Englert, p. 1654.

(77) Kathleen Abu Saad, "Indigenous Data Matter: Spotlight on Negev Bedouin Arabs," *The Lancet*, vol. 388, no. 10055 (October 2016), accessed on 2/1/2022, at: <https://bit.ly/3FrIjfj>;

ينظر أيضًا:

Suleiman Abu-Bader & Daniel Gottlieb, *Poverty, Education and Employment in the Arab Bedouin Society: A Comparative View* (Jerusalem: Van Leer Institute, 2009); Sarab Abu-Rabia-Queder, "The Biopolitics of Declassing Palestinian Professional Women in a Settler-Colonial Context," *Current Sociology*, vol. 67, no. 1 (2019), pp. 141–158.

ينظر (78):

Michael Fin & Callie Maidhof, "Seltzer Colonialism," *MERIP*, 3/17/2015, accessed on 2/1/2022, at: <https://bit.ly/3HkW1Hz>

الملكية واستغلال عملهم في الجيوب الحضرية؛ لقد تحولوا بالفعل إلى "بروليتاريا حضرية" تخدم في المزارع والمصانع الإسرائيلية، على نحو ما اقترح دايان في عام 1963.

كان لهذا التحول الرأسمالي، بالنسبة إلى المستنّات مثل صبيحة، آثارٌ قاسيةٌ على نحو خاص. وتلقت النساء من الأجيال الشابة التعليم في النظام الإسرائيلي، وقلة منها، ما يقارب 9% في المئة، دخلن إلى سوق العمل⁽⁷⁹⁾ فصرن معلمات وممرضات أو غير ذلك من المهن المتعلقة بالرعاية. وعلى الرغم من أن إسرائيل تقدم هذا "الاندماج" في سوق العمل بوصفه شكلاً من أشكال التحديث وتمكين المرأة، فإنه في الواقع جوهر استغلال العمالة المحلية لصالح التوسيع الرأسمالي. حتى أولئك النساء اللواتي وصلن إلى وظائف تتطلب مهارات عالية، يعنين "الانتقاد الطبقي" Declassing⁽⁸⁰⁾. وعلى النحو نفسه، تتواصل معدلات بطالة النساء في الارتفاع بسبب التمييز العنصري الذي يهدف إلى الحفاظ على سيادة طبقة المستوطنين، لأن العمل المنزلي والإنجابي غير المأجور (أي المستغل) يوفر توظيفاً للذكور بأجر (ولكنه أجرٌ منخفض، وفي النتيجة مستغل). وهكذا، يُعد عمل النساء المتّجّل والمستغل، وأيضاً بطالهن وتحولهن من مساهمات نشطات اجتماعية واقتصاديةً إلى مدبّرات منازل "عصريات" غير مدفوعات الأجر، عماد التوسيع الرأسمالي والربح⁽⁸¹⁾.

لم تدخل المستنّات في نظام العمل المأجور للاقتصاد الاستيطاني الجديد، لكنهنّ أيضاً لم يختصرنَّ عالم حياتهن في عالم ربات البيوت اللواتي يدعمن "اندماج" أقاربهن الذكور في العمل المأجور. ونتيجة قيام الدولة ومؤسسات السوق ببناء الحياة والفضاء والمجتمع على نحو متزايد، أمست البدويات المستنّات، بعد أن تقطّعت بهنّ السبل في البيئة الغربية للبلدة، وافتقرن إلى أي مصدر دخل، متربّكات على هامش الدولة الاستيطانية الرأسمالية النامية. وشأنهن شأن "الساحرات" ، والفاللات في أوروبا العصور الوسطى اللواتي جردن من ملكيّاتهن، بدأت المستنّات في التقبّل اللواتي عشن علاقات اجتماعية واقتصادية مختلفة جداً على أراضيّهن من قبل، لا يرّين العمل المأجور والاستهلاك الرأسمالي "أداة للحرية" ، ولكن بالآخر "أدوات للاستعباد"⁽⁸²⁾.

تكشف كلمات صبيحة عن وعيها بالقوى التذوّية والمحكمة التي تمتلكها الرأسمالية الاستيطانية. وحينما أرّتني أغنامها في الفناء الخلفي، أكدت أنها لا تستطيع الاحتفاظ إلا بقليل منها، وشرحت مدى صعوبة تربية الأغنام في البلدة، وكيف أصبحت رعيتها في الخارج معقداً على نحو متزايد. ومع مصادرة معظم الأراضي المحلية وتحويلها إلى مساحات تابعة للدولة أو للمستوطنين أو للجيش،

(79) Biernacka, Abu-Rabia-Queder & Kressel, p. 65;

ينظر أيضاً: Abu-Bader & Gottlieb

(80) Abu-Rabia-Queder, "The Biopolitics of Declassing Palestinian Professional Women in a Settler-Colonial Context."

(81) ينظر:

Federici, "Wages against Housework"; Maria Mies, *Patriarchy and Accumulation on a World Scale: Women in the International Division of labour*, 3rd ed. (London: Zed Books, 2014).

(82) Federici, *Caliban and the Witch*, p. 72.

لم يعد لديهنّ مكان يقصدنه. كما فرضت الدولة غرامات باهظة على التعدي على ممتلكات الغير ورعي الحيوانات. واقتضت بiro-قرطبيات الدولة قدرًا كبيرًا من الأعمال الورقية والمدفوعات لتسجيل الحيوانات. وشرحت صحبة بالتفصيل كيف يجب الآن تسجيل جميع الحيوانات؛ إذ يحتاج البيطري إلى التحقق والتصديق على صحتها، ويعين على المالكين الحصول على الأوراق اللازمة ودفع الفحوصات الصحية والتطعيمات والسجلات الأخرى: "وكل هذا مكلف ماديًا [...] إنهم [السلطات الإسرائلية] لا يريدون لنا أن نعيش، ولا أن تكون لنا أرض، ولا أن نمتلك الغنم. كلّ ما يريدونه لنا أن نعمل ونأكل، ولا شيء أكثر [...] لقد استولوا على الأرض والأغنام، ويريدون منّا أن نتوقف. والآن فكل شيء يقتضي المال"⁽⁸³⁾.

تندب صحبة فقدان أراضيها ومصادر العيش والحربيات، وتقارن حياة مجتمعها السابقة بوصفهم مزارعين على نطاق صغير ورعاة على أراضيهم، بواقعهم الحالي بوصفهم عملاً بأجر لا يملكون أرضًا تنبع علاقاتهم الاجتماعية من ديناميكيات السوق الرأسمالية: الطلب، والعرض، والاستهلاك. ومن ثم، فهي تشنّد نقداً حاداً لكيفية قيام الدولة الاستعمارية الإنجليزية وبنى سوقها الرأسمالية أولًا باقتلاع السكان المحليين من جذورهم وطردهم من أراضيهم المشاع، ومن ثم تنظيم الحياة الاجتماعية في البلدات وإعادة هيكلتها بالقوة، ولم يعد تحديد الأرض من منظور الحياة والعلاقات الاجتماعية⁽⁸⁴⁾ ولكن باعتبارها مصدر ربح. وإلى جانب إعادة ترتيب الملكية والعلاقات بالأرض، تظهر ترتيبات اجتماعية جديدة بين المالكين المستوطنين والمحليين المحروميين من ممتلكاتهم الذين صُرّروا عملاً. وبناء عليه، فإن عملية التسييج وترحيل المحليين ونقلهم تفترن أيضًا بديناميكيات تكوين الطبقة والعلاقات الطبقية. ومع اقتلاع المحليين وتشييئ المستوطنين في المكان والإقليم، تظهر أنماطًا مختلفة من استخدام الأرضي والحركة وعلاقات الملكية والتملك، والأنظمة الاجتماعية المختلفة ذات الصلة⁽⁸⁵⁾.

أهم ما في النّقْب هو أنّ المحليين حُوّلوا إلى أجساد مُقتَلَّة ومُجْهَدة، لا شأن لها، كما تصفها صحبة بكلمات بلية، سوى "العمل وتناول الطعام - لا أكثر". أمّا أولئك الذين لا يدخلون سوق العمل؛ غالبيّة النساء البدويات فيختطفن من أدوارهنّ الاجتماعية الاقتصادية السابقة الفاعلة في المجتمع ويتحوّلن خادمات منازل من دون أجر، فيُصيّبن لبنةً في استغلال العمل الرأسمالي الإنتاجي والإنجابي. وهذه العملية، بطبيعة الحال، أساسية للعمليات الرأسمالية والاستعمارية، ولكنها تشكّل أيضًا تقنية استعمارية إنجليزية "لمحو المحليين"⁽⁸⁶⁾. ولقد أوضحت قبلاً أنّ الاستعمار الإنجليزي يركّز بالأساس على مصادر الأرضي المحليّة، ولكنّ هذا يقتضي أيضًا محاولة ضبط المحليين ليصبحوا مواطنين

(83) صحبة، مقابلة شخصية، اللقية، 2014.

(84) ينظر أيضًا:

Noura Alkhalili, "Enclosures from Below: The Mushaa' in Contemporary Palestine," *Antipode*, vol. 49, no. 5 (2017), pp. 4–5.

(85) ينظر: Fields, p. 71.

(86) Wolfe, *Settler Colonialism and the Transformation of Anthropology*.

حديثين وعملاً منتجين. وتشمل السياسات الاستعمارية الاستيطانية، التي تهدف إلى "إدارة السكان الفائضين [المحلانين]"، تقنيات محو مختلفة: القتل، والطرد، والحبس، وفي المقابل أيضاً الاستيعاب Assimilation⁽⁸⁷⁾. ويكتب وولف: "لا شك في أن منطق [المحو] هذا يقتضي محو مالكي تلك الأرض، ولكن ليس بأي طريقة كانت [...]" وفي الواقع يمكن أن يكون الاستيعاب، اعتماداً على الظروف التاريخية، طريقةً من طرق المحو الأكثر فاعلية من الأشكال التقليدية للقتل، حيث إنها لا تنطوي على خرق صارخ لسيادة القانون، التي تعتبر أمراً أيدلوجياً مركزاً لتماسك المجتمع الاستيطاني⁽⁸⁸⁾.

إنّ سياسات الاستيطان التي تفصل الأفراد عن البنى الاقومية (القرابة مثلاً)⁽⁸⁹⁾، تحبس المحلانين وتجمّدهم، وتحوّل أراضي الأهلية المحلانية إلى ملكية المستوطنين الأفراد والدولة، وترمي إلى استيعاب المحلانين، وهذه كلها طرق لمحاجمة المشاعات المحلانية والقضاء على وجود المحلانين على الأرض وحقوقهم فيها. ومع ذلك، يؤكّد وولف ولد أنّ الاستعمار الاستيطاني الإسرائيلي لا يزال يركّز اليوم على توسيع تخومه، ومن ثم يطبق منطقه في المحو من خلال سياسات عزل المحلانين ونقلهم بدلاً من استيعابهم⁽⁹⁰⁾. ويرى وولف أنّ الاستيعاب لا يشتمل على اندماج السكان المحلانين في سوق العمل؛ فالسلطة الصهيونية تعتمد، طبقاً له، على "التراكم المسبق" Preaccumulation الذي تحقق عبر "قرون من التاريخ الاستعماري الأوروبي"⁽⁹¹⁾ بدلاً من الاعتماد على التراكم من خلال استغلال العمالة المحلانية.

ومع ذلك، توجد في فلسطين تقنياتٌ وزمانياتٌ استعمارية ورأسمالية واستعمارية استيطانية مختلفة على نحو متوازٍ. ولقد بینا سابقاً أنّ الدولة الرأسمالية الاستيطانية حولت سياساتها، منذ أواخر ستينيات القرن العشرين، من طرد المحلانين إلى استغلال العمال. ولا تشتعل الرأسمالية الاستعمارية الاستيطانية المتأخرة في إسرائيل من خلال الطرد والحبز والتطهير العرقي لمحو المحلانين فحسب، ولكن أيضاً من خلال "التحضير" و"التحديث" لتحويل المحلانين إلى قوة عاملة لا يملكون أرضاً محرومين من أراضيهم الأهلية وأساليب عيشهم وعلاقتهم الاجتماعية. وتوضح هذه العملية بوجه خاص إذا ما نظر إليها من منظور الفاعلية الأنثوية المحلانية.

تمتّح النساء البدويات من إحساسهنّ بفقدان مشاعرتهنّ، وفي الوقت نفسه من خروجهنّ من قوة العمل، مكانة هامشية محددة وقوّة اجتماعية. والهامشية، مثلما تفهمها فيديريتشي من خلال شخصية السّاحرة⁽⁹²⁾، تشكّل موقعاً للمقاومة. وأوضحت في هذه الفقرة من الدراسة أنّ معظم النساء من هذا

(87) Lloyd & Wolfe, p. 111.

(88) Wolfe, "Settler Colonialism and the Elimination of the Native," p. 402.

(89) Ibid., p. 397.

(90) Lloyd & Wolfe, p. 111.

(91) Patrick Wolfe, "Purchase by Other Means: The Palestine Nakba and Zionism's Conquest of Economics," *Settler Colonial Studies*, vol. 2, no. 1 (2012), p. 133.

(92) Federici, *Caliban and the Witch*.

الجيل لم تضبطهن الذاتيات الجديدة التي رسمتها لهن التحولات الرأسمالية الاستعمارية الاستيطانية؛ فما زلن خارج سوق العمل، ولكن على عكس الشابات العاطلات عن العمل، لا يختصر عالمهن بالأعمال المنزلية غير مدفوعة الأجر والإنجاب. فعملهن الإنتاجي والإيجابي ليس "مدحّجاً" في النظام الرأسمالي الاستيطاني، فضلاً عن أنهن نادراً ما يبالين بمتطلبات الاستهلاك والعمل المأجور، حيث يجذبن ببساطة إلى عدم المشاركة في بنى السوق الرأسمالية. بل بدلاً من ذلك، يحتفظن بشبكاتهن البديلة في زراعة الكفاف والإنتاج (مثل الجبن والتقطير والصاج) والاقتصاد التبادلي. إن النساء بخاصة هن اللواتي يعتمدن على هذه الممارسات والمعرفات المحلية، مستأنفات ما تعلمنه من أمهاتهن وجداتهن، سواء أكان ذلك في المجال الحميم للشفاء أم تربية الأطفال، أم في الزراعة والإنتاج على نطاق صغير، أم في الرعي شبه المترحل. ولذلك، فإن المستنات البدويات من جيل النكبة لا يذكرون فقط الأجيال الشابة باستمرار أن حيّاً أخرى ممكّنة على أراضيّهن المحلية، بل يحافظن عملياً على مشاعرّهن ويعنّ بناءها بنشاط من خلال ممارساتهن المشاعر اليومية في البلدات. وبذلك، يراوغن محاولة الدولة الاستيطانية الرأسمالية لمحو السكان المحليّين وبقاومنها.

خاتمة: المقاومة المتجسدة والشبكات النسائية غير الرسمية

تسلط هذه الدراسة، من خلال تحليل تقاطعي ييرز النوع الاجتماعي والطبقة والعرق، الضوء على أداء المشروع الإسرائيلي الاستيطاني - الرأسمالي في فلسطين اليوم. ويرّزت حقيقة أن المفهمة الضيقّة لسياسة المحو الاستعماري الاستيطاني، التي تتجاهل العمل المأجور بوصفه شكلاً من أشكال المحو الإيجابي والاستيعاب، لا يمكن أن تضع يدها على الطرائق ذات الطابع الجندرى والطبقي والعرقي التي يعمل بها المشروع الإسرائيلي الاستيطاني - الرأسمالي في فلسطين اليوم.

تشير المقاربة التقاطعية أيضًا إلى مركزية الشبكات الأهلية النسائية غير الرسمية والمقاومة المتجسدة. أصبحت أجساد النساء في النّقب أهدافاً لسيطرة الرأسمالي الإسرائيلي المستوطن، ونبذت أجساد المستنات باعتبارها لا نفع من ورائها يُجتنى؛ وهي عملية تذكّرنا بالكيفية التي أدت بها التحولات الرأسمالية في أوروبا القرون الوسطى إلى تهميش النساء المستنات و"اصطيادهن" (93). وبتركيزي في هذه الدراسة على بدويات النّقب المستنات من جيل النكبة، ذهبت إلى إثبات أنّ البدويات المستنات قاومن، مثلهن مثل "السّاحرات" في العصور الوسطى اللواتي وصفّتهن فيديريتشي، التسيّع الرأسمالي الاستيطاني لمشاعرّهن المحلية. وقد تبعتُ أشكال مقاومتهن اليومية ومشاعرّهن في ثلاثة حقول متّابطة هي: الأرض والعمل والجسد.

كان لمصادرة أراضي أسلاف البدو ونقل المحالّين بالإكراه إلى منطقة مسيّحة، ولاحقاً إلى جيوب حضريّة تشرف عليها إسرائيل الاستعمارية الاستيطانية أثراً عميقاً، ولا سيّما في النساء المحليّات. فبعد أن سُلّبت منهن أساليب حياتهن السابقة، وأدوارهن الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة، وحرية

(93) Ibid.

الحركة، حُسِنَ في بيوتها ونطاقها الشخصي. ومع ذلك، حاولن، حتى في الجيوب الحضرية، المحافظة على علاقتها بالأرض والمكان والمجتمع المحلاني؛ فواصلن الاعتزاز بحياتها خارج هذا النطاق، وزيارة أراضي أسلافهن حينما، وإذا ما كان ذلك ممكناً، ومارسن الاستشفاء التقليدي، واحتفظن بماشيتهن، وأسهمن في زراعة صغيرة تسد الرمق والاقتصاد التبادلي. ولم تلتج الغالية منهن في قوة العمل، ونادرًا ما ساهمن في نمط الحياة الاستهلاكية. وكانت مواجهاتها للدولة ومؤسساتها وإداراتها البيروقراطية في حدّها الأدنى، فغالبيتهن أميّات، ولم يذهبن إلى مدرسة مطلقاً، ولم يقصدن مؤسسة سياسية، ونادرًا ما تفاعلن مع منظمات غير حكومية أو منظمات تنمية تحديّية. ولأنّ بني السوق الرأسمالية لم تحولّن إلى وسائل إنتاج كادحة، ولم تخترلّن إلى نساء لا يفعلن غير الإنجاب (غير المدفوع الثمن والمُستغل)، فإنّ نظام الدولة السياسي الحيوي لم يتمكّن من مؤسسيّاتها من مكننة أجسادهن، أو إخضاعها لمواصفاته الطبية ولا ضبطها⁽⁹⁴⁾. كان موقع المسنّات على هامش الدولة الاستيطانية وبين السوق الرأسمالية هو الذي أتاح لهنّ (أكثر من الرجال والجيل الشاب) أن يحافظن على فضاءاتهن المستقلة والدفاع عن مشاعرها.

تضعننا حقيقة وجود النساء من هذا الجيل في طليعة الممارسات المناهضة في مواجهة أمر مهم ألا وهو ألا ننصر بحثنا في الصراعات النسوية على الجيل الشاب، أو على مسارات التمكّن الليبرالية والتنموية، ولا على منطق التحديّ وفضاءاته التي وفرتها الدولة والسوق. في الواقع، يكشف تتبع أشكال الفعل المشاعي اليومية التي التزمت بها النساء في التقب وتحليلها عن أنّ ما يسمى بـ"القديم" وـ"التقليدي" ليس بالضرورة أفعالاً أو سلوكيات "غير حرة"، أو "متخلفة"، أو "أبوية"، إنّما في وسعتها أن تقدّم للنساء في صراعاتهن فضاءات اجتماعية واقتصادية وسياسية مهمّة. ومع ذلك، يحدث هذا العمل السياسي بطرق غير رسمية، فهو ليس مقاومة واضحة ضد التحديّ أو الدولة الاستعمارية الاستيطانية أو السوق الرأسمالية، بل الحقيقة هي أنّ النساء في مشاعر التقب اليوم في حاجة إلى خلق سياسات للبقاء ومراوغة السياسات المهيمنة والمتطفلة والعنيفة التي تمارسها الرأسمالية الاستعمارية الاستيطانية. إن ممارساتهن المشاعية ليست تصادمية ولا هي استراتيجية نسوية واضحة، إنما هي تحدث من نساء يمارسن ذلك بطريقة صامّة، وسرية، واعتيادية فحسب.

لا ريب في أنّ نزع الملكية من المجتمع وتهجيره وتصيير أبنائه عملاً من طرف مشروع "التحديّ" الاستيطاني الرأسمالي للدولة الإسرائيلية قد خلّف كل ذلك في أجساد المسنّات ندوياً غائرة. غير أنّ موقعهن على هامش ذلك النظام يعني أيضاً أنهن لم يهضمّن منطقه العنصري، والطباقي والبطريكي. فالنساء يحتفظن بفهم محلاني للعلاقات بين الجسد والمجتمع والأرض في المعارف المحلية والممارسات اليومية ومن خلالها. توقّع دايان أنّ البدو سيتلاشون "خلال جيلين"⁽⁹⁵⁾، بيد أنّ عمل النساء البدويات من جيل النكبة بدد توقعه؛ فهنّ لا يراوغن آليات الضبط والمحو التي تنهيّجها الدولة

(94) Michel Foucault, *The Birth of the Clinic: An Archeology of Medical Perception* (New York: Vintage Books, 1973); Foucault, "The Birth of Biopolitics."

(95) Masalha, p. 125.

الاستيطانية والسوق ويفادينها فحسب، بل يقمن أيضًا ببناء المشاعات المحلاّنية ويصنّنها وينقلنها إلى الأجيال القادمة. وبذلك، يدعمن مصادر مهمة للقوة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للمرأة في المجتمع ويفاونون "محو المحلاّنين"؛ فهنّ لم يستسلمن لآليات ضبط تحول أجسادهن إلى أجساد منقادة وذهبية، وإلى مواطنات حديثات صالحات في دولة إسرائيل الرأسمالية الاستيطانية.

References

المراجع

العربية

أبو سعد، إسماعيل. *عرب النقب: الواقع، الراهن وتحديات المستقبل*. بئر السبع: مركز النقب للتطوير الإقليمي، 2010.

الأجنبية

Abu Rabia, Rawia. "Redefining Polygamy among the Palestinian Bedouins in Israel: Colonialism, Patriarchy, and Resistance." *Journal of Gender, Social Policy & the Law*. vol. 19, no. 2 (2011).

Abu Saad, Kathleen. "Indigenous Data Matter: Spotlight on Negev Bedouin Arabs." *The Lancet*. vol. 388, no. 10055 (October 2016). at: <https://bit.ly/3FrIlfj>

Abu Sitta, Salman. "The Denied Inheritance: Palestinian Land Ownership in Beer Sheba." Paper Presented to the International Fact-Finding Mission. Regional Council of Unrecognized Villages. Negev, 2009.

Abu-Bader, Suleiman & Daniel Gottlieb. *Poverty, Education and Employment in the Arab Bedouin Society: A Comparative View*. Jerusalem: Van Leer Institute, 2009.

Abu-Lughod, Lila (ed.). *Remaking Women: Feminism and Modernity in the Middle East*. Princeton: Princeton University Press. 1998.

Abu-Rabia-Queder, Sarab, Avigail Morris & Heather Ryan. "The Economy of Survival: Bedouin Women in Unrecognized Villages." *Journal of Arid Environments*. vol. 149, no. 2 (2019).

Abu-Rabia-Queder, Sarab. "The Biopolitics of Declassing Palestinian Professional Women in a Settler-Colonial Context." *Current Sociology*. vol. 67, no. 1 (2019).

Alkhalili, Noura. "Enclosures from Below: The Mushaa' in Contemporary Palestine." *Antipode*. vol. 49, no. 5 (2017).

Amara, Ahmad. "The Negev Land Question: Between Denial and Recognition." *Journal of Palestine Studies*. vol. 42, no. 4 (2013).

_____. "Beyond Stereotypes of Bedouins as 'Nomads' and 'Savages': Rethinking the Bedouin in Ottoman Southern Palestine, 1875–1900." *Journal of Holy Land and Palestine Studies*. vol. 15, no. 1 (2016).

Amoroso, Francesco, Ilan Pappé & Sophie Richter-Devroe (eds.). "Special Issue on Settler Colonialism in Palestine." *International Journal of Postcolonial Studies*. vol. 21, no. 4 (2019).

Auga, Ulrike & Christina von Braun (eds.). *Gender in Conflicts: Palestine-Israel-Germany*. Berlin: LIT Verlag, 2006.

Barnett, Michael (ed.). *Israel in Comparative Perspective: Challenging the Conventional Wisdom*. New York: State University of New York Press, 1996.

Biernacka, Aleksandra, Sarab Abu-Rabia-Queder & Gideon M. Kressel. "The Connective Strategies of Bedouin Women Entrepreneurs in the Negev." *Journal of Arid Environments*. vol. 149 (2018).

Bolous, Sonia. "National Interests Versus Women's Rights: The Case of Polygamy among the Bedouin Community in Israel." *Women & Criminal Justice*. vol. 31, no. 1 (2021).

Clarno, Andy. "Neoliberal Colonization in the West Bank." *Social Problems*. vol. 65, no. 3 (August 2018).

Dinero, Steven C. "Female Role Change and Male Response in the Post-Nomadic Urban Environment: The Case of the Israeli Negev Bedouin." *Journal of Comparative Family Studies*. vol. 28, no. 3 (Autumn 1997).

Englert, Sai. "Settlers, Workers, and the Logic of Accumulation by Dispossession." *Antipode*. vol. 52, no. 6 (2020).

Falah, Ghazi. "How Israel Controls the Bedouin in Israel." *Journal of Palestine Studies*. vol. 14, no. 2 (Winter 1985).

_____. "Israeli State Policy toward Bedouin Sedentarisation in the Negev." *Journal of Palestine Studies*. vol. 18, no. 2 (1989).

_____. "The Geopolitics of 'Enclavisation' and the Demise of a Two-State Solution to the Israeli-Palestinian Conflict." *Third World Quarterly*. vol. 26, no. 8 (2005).

Federici, Silvia. *Caliban and the Witch: Women, the Body and Primitive Accumulation*. Brooklyn: Atonomedia, 2014.

_____. *Re-enchanting the World: Feminism and the Politics of the Commons*. Oakland: PM Press/ Kairos, 2019.

Fenster, Tovi & Haim Yacobi (eds.). *Remembering, Forgetting and City Builders*. London: Routledge, 2016.

Fields, Gary. "Landscaping Palestine: Reflections of Enclosure in a Historical Mirror." *International Journal of Middle East Studies*. vol. 42, no. 1 (2010).

Foucault, Michel. *The Birth of the Clinic: An Archeology of Medical Perception*. New York: Vintage Books, 1973.

_____. *Ethics, Subjectivity, and Truth*. Paul Rabinow (ed.). New York: New Press, 1997.

- Griffiths, Mark & Jemima Repo. "Women's Lives Beyond the Checkpoint in Palestine." *Antipode*. vol. 52, no. 4 (2020).
- Griffiths, Mark & Mikko Joronen. "Marriage Under Occupation: Israel's Spousal Visa Restrictions in the West Bank." *Gender, Place and Culture: A Journal of Feminist Geography*. vol. 26, no. 2 (2019).
- Hammami, Rema. "Destabilizing Mastery and the Machine: Palestinian Agency and Gendered Embodiment at Israeli Military Checkpoints." *Current Anthropology*. vol. 60, no. 19 (2019).
- Hanafi, Sari. "Explaining Spacio-cide in the Palestinian Territory: Colonization and the State of Exception." *Current Sociology*. vol. 61, no. 2 (2012).
- Harvey, David. *The New Imperialism*. Oxford: Oxford University Press, 2003.
- Hilal, Jamil. "Imperialism and Settler Colonialism in West Asia: Israel and the Arab Palestinian Struggle." *Utafi*. vol. 1, no. 1 (1976).
- Hughes, Sara Salazar. "Unbounded Territoriality: Territorial Control, Settler Colonialism, and Israel/ Palestine." *Settler Colonial Studies*. vol. 10, no. 2 (2020).
- Jad, Islah. *Palestinian Women's Activism: Nationalism, Secularism, Islamism*. Syracuse: Syracuse University Press, 2018.
- Jakubowska, Longina. "Finding Ways to Make a Living." *Nomadic Peoples*. vol. 4, no. 2 (2000).
- Jayawardena, Kumari. *Feminism and Nationalism in the Third World*. London: Zed Books, 1986.
- Joronen, Mikko & Mark Griffiths (eds.). *Encounters with Colonial Power: Emergent Spaces of Violence and Struggle in Palestine*. Lincoln: University of Nebraska Press, [forthcoming].
- Kanaaneh, Rhoda Ann. *Birthing the Nation: Strategies of Palestinian Women in Israel*. Berkeley: University of California Press, 2002.
- Kandiyoti, Deniz. "Identity and its Discontents: Women and the Nation." *Millennium: Journal of International Studies*. vol. 20, no. 3 (1992).
- Kedar, Alexandre, Ahmad Amara & Oren Yiftachel. *Emptied Lands: A Legal Geography of Bedouin Rights in the Negev*. Stanford: Stanford University Press, 2018.
- Kimmerling, Baruch. *Zionism and Territory: The Socio-territorial Dimensions of Zionist Politics*. Berkeley: University of California Press, 1983.
- Kohlbry, Paul. "Owning the Homeland: Property, Markets, and Land Defense in the West Bank." *Journal of Palestine Studies*. vol. 47, no. 4 (2018).
- Lewando-Hundt, Gillian. "Women's Power and Settlement: The Effect of Settlement on the Position of Negev Bedouin Women." Master Dissertation. University of Edinburgh. Scotland, 1978.

Lloyd, David & Patrick Wolfe. "Settler Colonial Logics and the Neoliberal Regime." *Settler Colonial Studies*. vol. 6, no. 2 "Settler Colonial Logics and The Neoliberal Regime" (2016).

Lockman, Zachary. "Land, Labor and the Logic of Zionism: A Critical Engagement with Gershon Shafir." *Settler Colonial Studies*. vol. 2, no. 1 "Past is Present: Settler Colonialism in Palestine" (2012).

Luxemburg, Rosa. *The Accumulation of Capital*. New York: Routledge, 2003.

Malos, Ellen (ed.). *The Politics of Housework*. Gloucestershire: New Clarion Press, 1995.

Marx, Emanuel. *The Bedouin of the Negev*. Manchester: Manchester University Press, 1967.

Masalha, Nur (ed.). *Catastrophe Remembered: Palestine, Israel and the Internal Refugees: Essays in Memory of Edward W. Said*. London: Zed Books, 2005.

Mies, Maria. *Patriarchy and Accumulation on a World Scale: Women in the International Division of labour*. 3rd ed. London: Zed Books, 2014.

Nasasra, Mansour & Emily Bellis. "The Role of Bedouin Youth and Women in Resistance to the Israeli Prawer Plans in the Naqab." *Middle East Critique*. vol. 29, no. 4 (2020).

Nasasra, Mansour et al. (eds.). *The Naqab Bedouin and Colonialism: New Perspectives*. London: Routledge, 2014.

Nasasra, Mansour. "The Ongoing Judaisation of the Naqab and the Struggle for Recognising the Indigenous Rights of the Arab Bedouin People." *Settler Colonial Studies*. vol. 2, no. 1 "Past is Present: Settler Colonialism in Palestine" (2012).

Pappe, Ilan. *The Ethnic Cleansing of Palestine*. Oxford: One World, 2006.

Parizot, Cédric. "Viscous Spatialities: The Spaces of the Israeli Permit Regime of Access and Movement." *South Atlantic Quarterly*. vol. 117, no. 1 (2017).

Peteet, Julie. "Closure's Temporality: The Cultural Politics of Time and Waiting." *South Atlantic Quarterly*. vol. 117, no. 1 (2018).

Peteet, Julie. *Space and Mobility in Palestine*. Bloomington: Indiana University Press, 2017.

Rai, Shirin M. & Geraldine Lievesley (eds.). *Women and the State: International Perspectives*. London: Taylor and Francis, 1996.

Richter-Devroe, Sophie. "Biography, Life History and Orality A Naqab Bedouin Woman's Narrative of Displacement, Expulsion and Escape in Historic Southern Palestine, 1930–1970." *Journal of Women of the Middle East and the Islamic World*. no. 14 (2016).

_____. "Oral Traditions of Naqab Bedouin Women: Challenging Settler-Colonial Representations Through Embodied Performance." *Journal of Holy Land and Palestine Studies*. vol. 15, no. 1 (2016).

- _____. *Women's Political Activism in Palestine: Peacebuilding, Resistance, and Survival*. Chicago: University of Illinois Press, 2018.
- Rodinson, Maxime. *Israel: A Colonial–Settler State?* New York: Monad Press, 1973.
- Rouhana, Nadim N. & Areej Sabbagh–Khoury. "Memory and the Return of History in a Settler–colonial Context: The Case of the Palestinians in Israel." *Interventions*. vol. 21, no. 4 (2019).
- Sa'di, Ahmad H. & Lila Abu–Lughod (eds.). *Nakba: Palestine, 1948, and the Claims of Memory*. New York: Columbia University Press, 2007.
- Sa'di, Ahmad H. *Thorough Surveillance: The Genesis of Israeli Policies of Population Management, Surveillance and Political Control towards the Palestinian Minority*. Manchester: Manchester University Press, 2014.
- Said, Edward W. *The Question of Palestine*. London: Routledge, 1979.
- Salamanca, Omar Jabary et al. "Past is Present: Settler Colonialism in Palestine." *Settler Colonial Studies*. vol. 2, no. 1 (2012).
- Sayegh, Fayed A. "Zionist Colonialism in Palestine." *Settler Colonial Studies*. vol. 2, no. 1 (2012 [September 1965]).
- Sayigh, Rosemary. *The Palestinians: From Peasants to Revolutionaries*. London: Zed Books, 2007.
- Shafir, Gershon. *Land, Labor, and the Origins of the Israeli–Palestinian Conflict 1882–1914*. Cambridge: Cambridge University Press, 1989.
- Shalhoub–Kevorkian, Nadera. *Militarization and Violence against Women in Conflict Zones in the Middle East: A Palestinian Case–Study*. Cambridge: Cambridge University Press, 2009.
- Speed, Shannon. "Structures of Settler Capitalism in Abya Yala." *American Quarterly*. vol. 69, no. 4 (2017).
- Svirsky, Marcelo (ed.). "Collaborative Struggles in Australia and Israel–Palestine." *Settler Colonial Studies*. vol. 4, no. 4 (2014).
- Tawil–Souri, Helga. "Uneven Borders, Coloured (Im)mobilities: ID Cards in Palestine/Israel." *Geopolitics*. vol. 17, no. 1 (2012).
- Turner, Mandy & Omar Shweiki (eds.). *Decolonizing the Palestinian Economy: De–Development and Beyond*. London: Palgrave Macmillan, 2014.
- Veracini, Lorenzo (ed.). "Special Issue: Settler Colonialism and Israel–Palestine." *Settler Colonial Studies*. vol. 5, no. 3 (2015).
- Veracini, Lorenzo. *Settler Colonialism: A Theoretical Overview*. London: Palgrave Macmillan, 2010.
- _____. "'Settler Colonialism': Career of a Concept." *The Journal of Imperial and Commonwealth History*. vol. 41, no. 2 (2013).

_____. "The Other Shift: Settler Colonialism, Israel and The Occupation." *Journal of Palestine Studies*. vol. 42, no. 2 (2013).

Weizman, Eyal. *Hollow Land: Israel's Architecture of Occupation*. London: Verso, 2007.

Wolfe, Patrick. *Settler Colonialism and the Transformation of Anthropology: The Politics and Poetics of an Ethnographic Event*. London/ New York: Cassell, 1999.

_____. "Settler Colonialism and the Elimination of the Native." *Journal of Genocide Research*. vol. 8, no. 4 (2006).

_____. "Purchase by Other Means: The Palestine Nakba and Zionism's Conquest of Economics." *Settler Colonial Studies*. vol. 2, no. 1 (2012).

Yiftachel, Oren. "Epilogue: Studying Naqab/ Negev Bedouins: Toward a Colonial Paradigm?" *HAGAR Studies in Culture, Polity and Identities*. vol. 8, no. 2 (2008).

Yuval-Davis, Nira. *Gender and Nation*. London: Sage, 1997.

Zureik, Elia T. *Palestinians in Israel: A Study of Internal Colonialism*. London: Routledge/ Kegan Paul, 1979.

Zureik, Elia, David Lyon & Yasmeen Abu-Laban (eds.). *Surveillance and Control in Israel/ Palestine*. London: Routledge, 2011.